قصص
القرآن والسنة

دروس وعبر - الجزء الأول

الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَصَصُ القرآنِ والسُّنة

دروسٌ وعِبَر

الجزء الأول

تأليف الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

أبي عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين
١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإنَّ كثيرًا من الناس يحاولُ أن يُعلِّمَ أبناءَ المسلمين صغارًا وكبارًا عن طريق القصَّةِ وفوائدِها، فيَختلِقُ من عندِ نفسِه قصصًا خياليَّةً لأخذ العِبْرةِ منها، ولعلَّه يقَعُ في الكذبِ بسبب ذلك، وهذا حالُ كثيرٍ من القُصَّاص في هذا الزمان.

ونسِيَ هؤلاءِ أنَّ اللهَ تعالىٰ أورَثَنا الكتابَ والسُّنَّة، وحبانا فيهما أجملَ وأعظمَ القصصِ الحقيقيِّ الواقعيِّ المشتملِ علىٰ أفضل الدروس والعبر، وفيها العلمُ النافع والعملُ الصالح المقرِّبُ إلىٰ اللهِ سبحانَه، والموصلُ إلىٰ جنَّتِه، والمنجي من النار، قال اللهُ تعالىٰ: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣} [يوسف:٣]، وقال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١} [يوسف:١١١].

فالغرضُ مِن سَرْدِ القَصَصِ في القرآنِ والسُّنَّةِ ليس مجردَ التسلِّي وتضييع الأوقات، وإنَّما هو أخذُ العِبْرةِ والعِظةِ واستفادة الدروس العلميَّة والعمليَّة التي يحتاجها المسلمُ، صغيرًا كان أو كبيرًا، في حياته وبعد مماته.

وقد ذكَرتُ في البحث بعضًا من القَصَصِ الواردِ في السُّنَّة الصحيحةِ عن النبيِّ ﷺ؛ للتفقُّهِ في الدِّينِ من جهةٍ، وأخذ العِبْرة والعِظةِ من جهةٍ أخرىٰ.

وذلك لتدريسِه في معاهدِ القرآن والسُّنَّة لأبناءِ المسلمين، بفهم سلفنا الصالحِ من الصحابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ، جعَلَنا اللهُ وإيَّاكم منهم.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ نَبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعينَ!

القصة الأولى
قصة بدء الوحي على رسول الله ﷺ

أولًا: نص الحديث

عن أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣} [العلق:٣]، فَرَجَعَ

بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قَالَ: نَعَمْ،

لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ[(١)].

ثانيًا: مشاهد القصة

هذه القصةُ ترويها لنا أمُّ المؤمنين عائشةُ ﵂ زوجُ رسولِ الله ﷺ:

١- فالنبيُّ محمدٌ ﷺ كان معروفًا بالصادقِ الأمين قبل بعثته؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ عصَمَه، وحفظه من عبادةِ الأصنام والشرك بالله، وعصَمَه عن مساوئ الأخلاق كلِّها، فلم يأكُلْ ميتةً، ولم يشرَبْ خمرًا، ولم يسجُدْ لصنمٍ، ولم يكذِبْ قطُّ، وكان شديدَ الأدب؛ لأنَّ اللهَ هو الذي ربَّاه علىٰ ذلك؛ ليُؤهِّلَه لأنْ يكونَ نبيَّ هذه الأمة وقدوتَها، وهكذا عصم اللهُ جميعَ الأنبياء والرسل، وأدَّبَهم أحسَنَ الأدب، وربَّاهم أحسنَ التربية؛ ليكونوا قدوةً لأُمَمِهم،

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

فكانوا أصلَحَ خلقِ الله، وأتقاهم، فجميعُ الأنبياء معصومون بعصمة الله لهم.

٢- وكان النبيُّ ﷺ حنيفًا مسلمًا موحِّدًا على مِلَّة نبي الله إبراهيمَ عليه السلام، فكان يحبُّ أن يختليَ بنفسه ليتفرَّغَ لعبادة ربه، فيذهب إلى مكانٍ بعيدٍ عن الناس، إلى غارِ حِراءَ، يأخُذُ طعامَه وشرابه وثيابه، ليعتكفَ فيه، ويتعبَّد لله تعالى، وكانت زوجته خديجةُ بنتُ خُوَيلد رضي الله عنها تعينُه على ذلك، وتُعِدُّ له كلَّ ما يحتاجه.

٣- فلمَّا بلغ من العُمُرِ أربعين سنةً بعثه اللهُ نبيًّا رسولًا، وأوحى إليه بالإسلامِ والقرآنِ والسنَّة؛ ليكونَ خاتمَ النبيِّين وآخرَ المرسلين.

٤- وكان أول ما بُدئ به من الوحيِ الرؤيا الصالحة؛ لأنَّ الرؤيا الصالحةَ وحيٌ من الله تعالى للعبد، فكان يرى الرؤيا وهو نائمٌ بالليل، فتتحقق كما أراها اللهُ له، وبُدِئ بالرؤيا الصالحة في شهر ربيعٍ الأول، وهذه كانت بدايةَ الوحي.

٥- ثم في شهر رمضانَ وهو يتعبَّدُ في غار حراءَ نزل عليه الملك جِبريلُ عليه السلام من السماءِ وهو في صورةِ إنسانٍ بالوحي من الله تعالىٰ؛ لأنَّ مهمةَ الملك جبريلَ هي تبليغُ الوحيِ من الله تعالىٰ إلىٰ الرُّسُل والأنبياء.

٦ - وكان أولَ ما نزَلَ عليه من الوحيِ سورةُ العلق؛ حيث قال للنبي ﷺ: «**اقْرَأْ**»، وكان النبيُّ ﷺ أمِّيًّا، لا يعرفُ الكتابةَ ولا القراءةَ؛ وذلك حتىٰ يكونَ صافيَ الذهن، قويَّ الذاكرةِ، قويَّ الحفظ، وحتىٰ لا يتَّهِمَه أحدٌ بأنه هو الذي ألَّف الوحيَ من عند نفسه وكتبه.

فلمَّا قال له جبريل عليه السلام: «**اقرَأْ**» قال: «**ما أنا بقارِئٍ**»؛ أي: لا أعرفُ القراءةَ، فضمَّه جبريلُ ضمةً شديدةً إلىٰ صدرِه حتىٰ ضاق نَفَسُ النبيِّ ﷺ، فلا يستطيعُ أن يتنفَّسَ، ثم تركه جبريلُ عليه السلام ليأخذَ نفَسَه ويستريحَ، ثم قال له مرةً أخرىٰ: «**اقرأ**»، فقال: «**ما أنا بقارِئٍ**»، فأخذه جبريلُ فضمَّه مثل المرَّة الأولىٰ، ثم أرسله وتركه،

ثم قال له: «اقرأ» للمرَّة الثالثة، فقال النبيُّ ﷺ: «ما أنا بقارئٍ»، فأخذه فضمَّه ضمةً شديدة، ثم أرسله فقال: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣} [العلق:٣]، وكانت أولَ سورةٍ وأولَ آياتٍ تنزلُ من القرآن على رسول الله ﷺ، ثم تركه جبريلُ عليه السلام وانصرف.

٧- فخاف النبيُّ ﷺ ممَّا حدث؛ خشيةَ أن يكون هذا من الجِنِّ ونحو ذلك، فرجع إلى بيته إلى زوجتِه المخلصة الوفيَّة الصالحة التقيَّة خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضي الله عنها، وهو خائفٌ فقال: «زَمِّلوني زَمِّلوني»؛ أي: غطوني بلِحافٍ ونحوه، فغطَّوه حتى هدأ، وذهب عنه الخوفُ، فأخبر خديجةَ رضي الله عنها بما حدث، وقال لها: «لقد خَشِيتُ على نَفْسي»؛ أي: خاف على نفسه القتلَ أو المسَّ من الجانِّ ونحو ذلك.

٨- فقالت له زوجته الصالحةُ الوفيَّة وهي تشُدُّ من أزره وتطمئنه وتبشِّرُه بالخير: «كلا واللهِ ما يُخزيكَ اللهُ أبدًا»؛ أي: أنَّك

يا محمدُ رجلٌ صالحٌ طيِّب، والله تعالىٰ يحفَظُ عبادَه الصالحين، ولا يخزيهم، ويكرمهم، ولا يهينهم، ثم بيَّنتْ له سببَ ذلك، فقالت: «**إنَّك لتَصِلُ الرَّحِمَ**»؛ لأنَّ الذي يصِلُ رحِمَه يحفَظُه اللهُ ويرحَمُه برحمتِه، ويباركُ له في رزقه، وفي عمره بزيادةِ العمر وزيادة الحسنات والصالحات.

«**وتَحمِلُ الكَلَّ**»؛ أي: تعينُ الضعيفَ والمحتاج.

«**وتَكسِبُ المعدومَ**»؛ أي: تعطي الناسَ ما لا يجدونه عندَ غيرك.

«**وتَقري الضَّيفَ**»؛ أي: تُكرِمُ الضيفَ.

«**وتُعينُ علىٰ نوائِبِ الحقِّ**»؛ أي: أنت رجلٌ، كريمٌ، جوادٌ، شهم، تساندُ الناسَ في مصائبهم وحاجاتهم، فاللهُ معك، وينجِّيك، ولا يُسلِمُك لشديدٍ أبدًا.

«**وتصدُقُ الحديثَ**»؛ أي: أنتَ من الصادقين، واللهُ يحبُّ الصادقين ولا يخزيهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«**وتُؤدِّي الأمانةَ**»؛ أي: فأنت صادقٌ أمين، واللهُ لا يُخزي الصادقَ الأمين.

٩- وفي هذا بيانُ دورِ المرأةِ الصالحة مع زوجها، ووقوفها بجانبه في شدَّته، وعدم التخلِّي عنه؛ بل تُثبِّته وتُصبِّره، وتُذكِّره بجميلِ الخصال، وتحسن الظنَّ بالله أن يَحفَظَه ويُنجِّيَه من كلِّ مكروه.

١٠- فعلِمتْ خديجةُ ﵂ أنَّ هذا أمرٌ من الله تعالىٰ، وليس من الشيطان، فأخذت رسولَ الله ﷺ، وذهبت به إلىٰ ابنِ عمِّها ورقةَ بن نوفلٍ، وكان رجلًا حنيفًا مسلمًا علىٰ مِلَّة المسيح عيسىٰ بنِ مريَمَ ﵇، وكان علىٰ علمٍ بالتوراة والإنجيل، ويعلم صفاتِ نبيِّ آخرِ الزمان، فأخبَرَتْه بما حدَثَ لزوجها رسولِ الله ﷺ، ثم قصَّ عليه النبيُّ ﷺ ما حدث، فقال له: هذا هو الوحيُ، وهو الدِّينُ الذي جاء به موسىٰ ﵇ والأنبياء من قبلِك، فأنت

رسولُ الله ونبيُّ هذه الأمَّةِ، وهذا هو الملَكُ جبريلُ نزل عليك بوحيٍ من الله تعالىٰ.

١١- وكان ورقةُ بنُ نوفلٍ أوَّلَ من آمن بالنبيِّ ﷺ، وبشَّره بالنبوَّة، ثم خديجةُ، ثم بعد ذلك أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنهم.

١٢- ثم تمنَّىٰ ورقةُ بنُ نوفلٍ رضي الله عنه أنْ لو كان شابًّا قويًّا؛ ليعينَ النبيَّ ﷺ علىٰ دعوته، ويجاهدَ معه في سبيل نشر هذا الدِّين؛ لأنَّ ورقةَ كان شيخًا كبيرًا، قد اقترب من الموت.

١٣- ثم أخبر ورقةُ رسولَ الله ﷺ بأنه سيدعو قومَه للإسلام، وأنهم سيعادونه، ولن ينصروه، وسيُكذِّبونه ويؤذونه، ويخرجونه من بلدِه.

١٤- فسأله رسولُ الله ﷺ وقال: «**أَوَمُخرِجِيَّ هم**»؛ وهو يتعجَّبُ من ذلك؛ لأنَّ كلَّ مَن جاء بالحقِّ ودعا إليه، فلا بدَّ أن يكون له أعداءٌ وحُسَّادٌ وحقَّاد، وهكذا مع كلِّ إنسانٍ ناجح في حياته ويدعو للحق؛ ولكنَّ اللهَ يؤيِّدُه وينصُرُه علىٰ كلِّ من يعاديه.

١٥- ثم تُوفِّي ورقةُ بنُ نوفلٍ بعدها بقليلٍ، وانقطع الوحيُ فترةً، ثم نزل جبريلُ بعدها علىٰ النبيِّ ﷺ بأول سورةٍ من القرآن بعد سورة «اقرأ»، وهي سورةُ المدثر: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢}، ثم بعد ذلك تتابع الوحيُ بالقرآن والسنَّة علىٰ النبيِّ ﷺ، وبدأ يدعو الناسَ للإسلام وعبادة الله وحدَه، وترك عبادةِ الأوثانِ، والأصنامِ، وقبور الصالحين، والشمس، والقمر، وغير ذلك من المعبودات الباطلة، وظَلَّ القرآنُ والسنَّة ينزِلانِ علىٰ النبيِّ ﷺ مدةَ ثلاثةٍ وعشرينَ عامًا حتىٰ مات النبيُّ ﷺ وعنده من العمر ثلاثٌ وستون سنةً.

١٦- ونزَلَ عليه من القرآنِ مئةٌ وأربعةَ عشَرَ سورةً، وهي الموجودةُ في المصحف إلىٰ الآن، تبدأ بسورةِ الفاتحة، وتنتهي بسورة الناس، ونزل عليه أحاديثُ كثيرةٌ، حفِظَها الصحابةُ الكرام، وبلَّغوها للأمَّة، وحفظها التابعون لهم، وقيَّدها العلماءُ في

الكتب، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، والسُّنَن الأربعة، وغير ذلك.

- وقد تكفَّل اللهُ تعالىٰ بحفظِ القرآنِ والسُّنَّة.

ثالثًا: ما يستفاد من هذه القصة

١- أنَّ النبيَّ ﷺ بعثه الله نبيًّا ورسولًا وعندَه من العمر أربعون عامًا.

٢- أنَّ النبيَّ ﷺ وجميعَ الأنبياء معصومون عن الذنوب والخطايا، وهم أكملُ الخلق دينًا وخُلُقًا وخَلْقًا، وأنَّهم جميعًا جاؤوا بالإسلام.

٣- أنَّ أولَ الوحيِ كان بالرؤيا الصالحةِ، وبُدِئ به في شهر ربيعٍ الأوَّل.

٤- أنَّ نزولَ جبريلَ عليه السلام علىٰ النبيِّ ﷺ كان في شهر رمضان.

٥- أنَّ أولَ ما نزل من القرآنِ سورةُ «اقرأ»، ثم سورةُ المدثِّر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- أنَّ اللهَ تعالىٰ خلَقَنا لعبادته وحدَه لا شريك له، ولا يدخل الجنَّةَ إلا المسلمون، والمسلم هو مَن رضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا.

٧- أنَّ النبي محمدًا ﷺ هو خاتمُ النبيِّين والمرسلين، فلا نبيَّ بعدَه، ومَن ادَّعىٰ النبوَّةَ بعده فهو كذَّاب.

٨- أنَّ القرآنَ الكريم مئةٌ وأربعةَ عشَرَ سورةً، لا زيادةَ فيها ولا نقصان.

٩- أنَّ القرآنَ والسُّنَّة وحيٌ من عند الله، وأنَّ الله تكفَّل بحفظها؛ لأنَّ حفظَها حفظٌ للدِّين وبقائه.

١٠- يُستحَبُّ للمسلم أن يخلوَ بنفسه أحيانًا ليتفرَّغَ لطلب العلم وعبادة ربِّه.

١١- يجبُ علىٰ المرأةِ المسلمة أن تكونَ صالحةً وفيَّةً لزوجها، معينةً له علىٰ طاعة الله.

١٢- أنَّ مِن صفاتِ المرأة الصالحة الوفاءَ لزوجها، والوقوفَ بجواره وقتَ شدَّتِه، وعدمَ التخلي عنه.

١٣- فضل السيدة خديجةَ بنت خويلدٍ ﵂، وأنَّها من أعقل وأكمل نساء العالمين، وهي أولُ مَن آمَنَ مِن النساء.

١٤- فضل ورقةَ بنِ نوفلٍ، وهو أولُ من أسلَمَ من الرجال.

١٥- أنَّ الرسول محمدًا ﷺ هو أعظَمُ نعمةٍ أنعم اللهُ بها علىٰ المؤمنين بما معَه من القرآن؛ لأنَّ الله أخرجنا به من الظلماتِ إلىٰ النور، من ظلماتِ الكفرِ والشرك والبدعة والمعصية إلىٰ نورِ الإسلامِ والإيمانِ والسُّنَّة والطاعة.

القصة الثانية: المسلم كالنخلة المثمرة

أولًا: نص الحديث

عن عبدِ الله بن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي ما هي؟**». فوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوادِي. قالَ عبدُ اللهِ: ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هي يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: فقالَ: «**هي النَّخْلَةُ**»(١).

ثانيًا: مشاهد القصة

١- هذا الحديثُ يرويه لنا الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بن عمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه وعن أبيه، وابنُ عمرَ مع صِغَرِ سنِّهِ في هذا الوقت كان حريصًا علىٰ ملازمة الرسول ﷺ؛ ليتعلَّمَ منه العلمَ، ويقتديَ به، ويحفظَ منه القرآن والسنَّة، وكان يحرصُ علىٰ ملازمةِ الجلوس مع أبيه وأكابر الصحابة؛ ليتعلَّمَ منهم الأدبَ،

(١) أخرجه البخاري (٦١، ٧٢)، ومسلم (٢٨١١).

والرجولة، والعلمَ النافع، وخبرةَ الحياة، فالذي يجالسُ الأكابرَ يكبر بهم، ويصير مثلَهم، والذي يجالسُ الأصاغرَ أو الصغارَ يصغر بهم، ويصيرُ مثلَهم.

٢- وكان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يجالس الصحابةَ، ويعقدُ لهم دروس العلم، ليُعلِّمَهم دينَ الله تعالىٰ، وأحيانًا يقرِّب لهم العلمَ بضربِ الأمثال، وفي الوقت نفسِه يوقظُ أذهانَهم، وينشِّطُ عقولَهم.

٣- وفي هذا المجلسِ اختبر النبيُّ ﷺ أذهانَ الحاضرين بهذا السؤال، فقال لهم: «**إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي ما هي؟**»؛ أي: إنَّ هناك شجرةً كلُّها نفعٌ وخيرٌ وبركة، كالمسلم تمامًا؛ لأنَّ المسلمَ يجبُ عليه أن يكونَ فيه خيرٌ ونفعٌ وبَرَكةٌ لنفسه وللمسلمين، بعلمه النافع، وعمله الصالح، لا يجلبُ الشرَّ إليهم، ولا يسيءُ الأدبَ معهم؛ بل هو موحِّدٌ حسَنُ الاعتقاد، حسَنُ العبادات، حسَنُ الأخلاقِ والمعاملات.

٤- فوقع الناسُ في شجرِ البوادي؛ أي: اختلف الحاضرون، وكلٌّ منهم ذكَرَ اسمَ شجرةٍ معيَّنة ممَّا ينبُتُ في البادية؛ لكنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ ﷺ- وهو أصغرُ الحاضرين- ألهمه اللهُ أنَّ هذه الشجرةَ العظيمة النافعة هي النخلةُ؛ لأنَّ أوراقَ الأشجار عمومًا تسقط في فصلِ الخريف، ثم تنبُتُ في فصل الرَّبيع، إلا النخلةَ، فإنَّ ورَقَها ثابتٌ لا يسقط أبدًا، إلا إذا قطعه صاحبها، ولأنَّ النخلةَ كلُّها نفعٌ، ليس فيها شيءٌ من أجزائها إلا وهو نافعٌ للناس، فبَركةُ النخلة موجودةٌ في جميعِ أجزائها، مستمرَّةٌ في جميع أحوالها في حياتها وبعد موتها.

٥- فالنخلةُ يُنتفَعُ بثمرها رَطْبةً ويابسةً، تمرًا ورُطبًا وعجوةً، عاجلًا وآجِلًا، صيفًا وشتاءً، طوالَ السنة، ويُنتفَعُ بالنوىٰ في علف الدوابِّ، والليف يُستعمَلُ في صناعة الحبال، والجذع كلُّه نفعٌ، يُعمَلُ به أعمدةٌ وعروقٌ تحملُ ما فوقها من الأسقف والبنيان، ويكونُ جسرًا فوقَ التُّرعِ والمصارف، يمُرُّ عليه الناسُ لقضاء حوائجهم.

وأوراقها وفروعها يُصنَعُ منها الأطباقُ والأوعيةُ المختلفة؛ لحملِ الخُبزِ، أو الخَضرواتِ، أو الفاكهة ونحوها.

كما أنَّ النخلةَ يُستظَلُّ بظلِّها ويُستمتَعُ بجمالِ منظرها.

فالنخلةُ حيةً وميتةً كلُّها نفعٌ، فكذلك المسلمُ كلُّه نفعٌ في حياته، وبعدَ مماته؛ لما يتركه ويورِّثُه من خيرٍ، وعلمٍ نافع، وعملٍ صالح.

٦- لكنَّ عبدَ الله بن عمرَ استحيا أن يتكلَّمَ ويجيبَ في حضرةِ مَن هم أكبَرُ منه سنًّا وعلمًا، كأبي بكرٍ وعمرَ وغيرهما رضِيَ اللهُ عنهم أجمعينَ؛ لأنَّه ينبغي علىٰ الصغيرِ إذا جلس مع الكبار أن يصمُتَ ويستمعَ لهم فقط، حتىٰ يتعلَّمَ منهم، ويستفيدَ من خبرتهم، وهذا أدبٌ مهمٌّ؛ ألَّا يتكلَّمَ الصغارُ في حضرةِ الكبار، إلا إذا طُلِب منهم الكلام.

٧- فلمَّا لم يعرِفِ الجالسون اسمَ هذه الشجرة أجاب النبيُّ ﷺ عن السؤالِ، وقال: «**هي النَّخْلةُ**».

ثالثًا: ما يستفاد من القصة

١- جوازُ ضربِ المثلِ لتقريب المعاني إلىٰ أفهام السامعين.

٢- جوازُ طرح المعلِّمِ السؤالَ علىٰ جُلَسائه للفتِ أنظارهم، وجذبِ انتباههم للفوائد التي ستُلقَىٰ عليهم.

٣- حثُّ المؤمن علىٰ أن يكونَ مباركًا نافعًا أينما كان، وحيثما كان.

٤- استحبابُ الحياء ما لم يؤدِّ إلىٰ فواتِ مصلحةٍ، فلو لم يبيِّن النبيُّ ﷺ الجوابَ لكان الواجبُ علىٰ ابن عمرِ رضي الله عنهما أن يجيبَ السؤالَ؛ حتىٰ لا تفوتَ المصلحةُ علىٰ الجالسين.

٥-وفيه دليلٌ علىٰ بركةِ النخلة وفضيلتها بما تثمره، وينتفعُ بها الخلق، وهكذا يكونُ المسلم الحقُّ، كلُّه نفعٌ وخيرٌ للناس.

٦- توقيرُ الكبار، واحترامهم، وعدم التكلُّمِ بينهم إلا للحاجة.

٧- أنَّ العلمَ والفهم مِنَّةٌ من اللهِ علىٰ العبدِ، فالذي فهِمَ الجوابَ هو ابنُ عمرَ رضي الله عنهما، وقد خفِيَ علىٰ الأكابر.

٨- الحرصُ علىٰ حضورِ مجالسِ العلم والعلماء والكبار؛ للاستفادةِ منهم في تلقِّي العلم، والعمل، والخبرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصة الثالثة
فضل العلم وخبر الثلاثة

أولًا: نص الحديث

عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَىٰ فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللهِ ﷺ قالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ فأَوَىٰ إلىٰ اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللهُ عَنْه**»[(١)].

ثانيًا: مشاهد القصة

١- قصةُ هذا الحديثِ يَرويها لنا الصحابيُّ الجليلُ أبو واقدٍ الليثيُّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ؛ حيث إنَّ النبيَّ ﷺ قد بعَثَه اللهُ معلِّمًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

وداعيًا إلىٰ اللهِ بإذنه وسِراجًا منيرًا، قال: «**أَنَا لكم بمَنْزِلةِ الوالِدِ أُعلِّمُكُم**»[١]، فكان يعقدُ مجالسَ الدرس ليعلِّمَ المسلمينَ في المسجد وفي غيره.

٢- وذات يومٍ جلس يُلقي درسًا علىٰ أصحابه، وفي أثناءِ الدرس دخل ثلاثةٌ من المسلمين المسجد، فوجد أحدُهم فرجةً فىٰ الصفِّ الأوَّل، فجلس فيها، وأمَّا الثانىٰ فاستحيا فجلس في مؤخرةِ الصفوفِ، واستمع لدرسِ العلم، والثالثُ ذهب وخرج من المسجدِ، ولم يحضر درسَ العلم.

٣-فأكمل النبيُّ ﷺ حديثَه حتىٰ فرَغَ من درسِه، ثم قال لأصحابه: «**أَلَا أُخبِرُكُم عنِ النَّفَرِ الثلاثةِ**»؛ أي: عن حالِهم مع درسِ العلم وفضلِه.

أمَّا الأولُ الذي وجد فرجةً في الحَلْقةِ فدخل فيها، واقترب من النبيِّ ﷺ، وكان عنده حرصٌ علىٰ العلمِ، فقد أوىٰ إلىٰ اللهِ؛ أي:

---

(١) أخرجه أبو داود (٨).

أسرع إلىٰ اللهِ لسماع العلم، فآواه اللهُ؛ أي: أدخله في الرحمةِ والفضلِ وعظيم الأجر.

والثاني استحيا من أن ينصرفَ، وجلَسَ يستمعُ للعلم، فاستحيا اللهُ منه، ولم يَحرِمْه فضلَ العلم وأجرَه.

والثالثُ أعرَضَ عن العلمِ، وعن هذه العبادةِ العظيمةِ التي هي طلَبُ العلم النافع، فأعرض اللهُ عنه، وحرَمَه الأجرَ والفضل.

ثالثًا: ما يستفاد من هذه القصة

١- فضلُ العلم ومجالس العلم؛ إذ إنَّ العلمَ هو أعظمُ عبادةٍ يُتقرَّبُ إلىٰ الله بها، فالإنسانُ بغير العلم لا يستطيعُ أن يصلِّيَ، أو يصومَ، أو يحجَّ، أو يجاهدَ، أو يعملَ أيَّ عملٍ صالحٍ، فالعلمُ قبلَ القول والعمل.

٢- أنَّه يجبُ علينا أن نتعلَّمَ العلمَ، ونُعلِّمَه للناس، كما كان النبيُّ ﷺ يفعل، وكان يقول: «**خَيرُكُم مَن تعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَه**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- الحرصُ على حضور دروسِ العلماءِ؛ علماءِ أهلِ السُّنَّة، أمَّا أهلُ البدع من الصوفية والإخوانِ وغيرهم فلا يُحضَرُ لهم، ولا يُستمَعُ إليهم، فقد قال النبيُّ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١).

٤- أنَّ مَن حرَصَ على العلمِ وحضور دروسِه غمَرَه اللهُ برحمته، ورفع قدرَه في الدنيا والآخرة.

٥- التحذيرُ من الإعراضِ عن تعلُّمِ العلمِ الشرعي، فمَن أعرَضَ عن علمِ الكتاب والسنَّة أعرَضَ الله عنه.

٦- استحبابُ تحلُّقِ الدارسين حولَ معلِّمِهم حِلقًا.

٧- استحبابُ سدِّ الفُرَجِ أولًا فأول.

٨- مشروعيَّةُ الإخبار بما حصل للناس من خيرٍ أو شرٍّ؛ لأخذِ العِبْرةِ والعِظَةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

القصة الرابعة
قصة أصحاب الأخدود

أولًا: نص الحديث

عن صُهيبٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:

كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ

النَّاسُ، فَأَتَىٰ الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَىٰ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ

الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ»[1].

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

ثانيًا: مشاهد القصة

هذه قصةٌ عظيمة قصَّها علينا رسولُ الله ﷺ لنتعلَّمَ منها أحكامًا وعبرًا كثيرةً، وقد حدثت قبل النبيِّ ﷺ بزمنٍ، وكانت في مدينة نجرانَ علىٰ حدودِ اليمن، وخلاصةُ هذه القصَّة:

١- أنَّه كان هناك مِلكٌ كافرٌ يحكُم هذه البلاد، وكان يدَّعي لنفسه الربوبيَّةَ من دون الله، وكان له ساحرٌ دجَّالٌ يستعينُ بالشياطين والجنِّ، ويدَّعي علمَ الغيب، ومَن ادَّعىٰ الربوبيَّةَ لغيرِ الله فهو كافرٌ، والساحرُ الذي يستعين بالجانِّ ويدعي علمَ الغيب كافرٌ.

٢- فلمَّا كبِرَ هذا الساحرُ واستشعر أنه اقتَربَ من الموت، أراد أن يستخلفَ من يحمِلُ عنه هذا العلمَ الضارَّ (السحرَ)، فطلب من الملِكِ أن يختارَ له غلامًا ذكيًّا سريعَ الفهم، سريعَ الحفظ، فاختار له الملِكُ غلامًا فَطِنًا لَقِنًا، وبدأ الغلامُ يتعلمُ السحرَ من الساحر في قصر الملك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- وبينما كان الغلامُ ذاهبًا إلىٰ الساحر ذاتَ يومٍ؛ إذ مرَّ علىٰ راهبٍ- أي: عابدٍ مسلمٍ من أتباع نبيِّ الله عيسي عليه السلام- وكان عندَه علمٌ، فجلَسَ معه، وسمِعَ منه كلامَ الله وكلامَ نَبيِّه عيسي بنِ مَريَمَ، فأعجبه ذلك؛ لأنَّ الإنسانَ مفطورٌ علىٰ الفطرة السويَّةِ؛ أي: علىٰ الإسلامِ والسُّنَّةِ والدِّين الحقِّ، وظل يتردَّدُ كلَّ يومٍ علىٰ الراهب في الصباح عندَ ذهابه للساحر في قصرِ الملك، وفي أثناء رجوعِه إلىٰ بيته في آخرِ النهار، ليتعلَّمَ منه التوحيدَ والسنة، ولم يخبِرْ بذلك أحدًا، لا الساحرَ ولا الملِكَ، ولا أهلَ بيته؛ لأنهم لو علِموا لمنعوه مِن تعلُّمِ الإسلامِ ليصيرَ كافرًا ساحرًا عدُوًّا لله ودينه.

٤- فكان يذهبُ إلىٰ الساحرِ في الصباح متأخِّرًا بسبب أنَّه يجلِسُ مع الراهب أولًا ليتعلَّمَ منه دينَ الله، فكان الساحرُ يضربُهُ علىٰ التأخير، وكان إذا رجع إلىٰ بيتِه مرَّ علىٰ الراهبِ ليتعلَّمَ منه دينَ الإسلامِ؛ كلامَ الله وسنةَ رسوله؛ لأنَّ جميعَ الأنبياء دينُهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحدٌ، جاؤوا بالإسلام، فكان نبيُّ الله عيسىٰ مسلمًا كنبيِّ الله محمدٍ ﷺ، فكان الغلامُ يرجعُ إلىٰ بيته متأخرًا، فيضربه أهلُ بيته.

٥- فشكا ذلك الضربَ الكثيرَ إلىٰ الراهبِ، فأمره الراهبُ أن يكذِبَ علىٰ الكفرةِ أعداءِ الله؛ لينجوَ من الهلاك، وليتعلَّمَ الدينَ الحقَّ، فقال له: إذا أراد الساحرُ أن يضرِبَك فقل له: «**حَبَسَنِي أهلي**»؛ أي: أخَّروني عن المجيء، وإذا أراد أهلُ بيتك أن يضربوك فقل لهم: «**حَبَسَنِي السَّاحِرُ**».

٦- واستمرَّ هذا الغلامُ في طلبِ العلمِ والحفظ علىٰ يدِ هذا العالم الراهبِ الموحِّد المسلم، وفي الوقتِ نفسه استمرَّ في تعلُّم السِّحرِ من الساحر المشرك، فكان يتعلَّمُ النقيضينِ الإسلامَ والكفرَ، التوحيدَ والشِّرك، فكان عنده شيءٌ من الحيرةِ.

٧- وذاتَ يومٍ بينما هو يمشي في الطريقِ إذ رأىٰ دابَّةً عظيمةً، كالأسدِ، أو الحيَّة، أو الأفعىٰ، ونحو ذلك، وقد خاف الناسُ منها، فلا يستطيعون أن يمُرُّوا من هذا الطريق، فقال الغلام:

«الْيَوْمَ أَعْلَمُ»- أي: أتأكَّدُ- «آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟»، وكان يحِبُّ الراهبَ وأمره.

فأخذ حجرًا بيده ودعا اللهَ تعالىٰ، وقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ».

٨- فذهب الغلامُ إلىٰ الراهبِ وأخبره الخبرَ، فقال له: «أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي»؛ أي: أنَّك قد آمنتَ بالله ورُسُلِه ودينه، وقد حَسُنَ إسلامُك، وزاد إيمانك، وقد أكرمك اللهُ تعالىٰ بكرامةٍ من كراماتِ الأولياء، وهي أنَّك مستجابُ الدعوة، كلَّما دعوتَ اللهَ في خيرٍ استجاب اللهُ لك، والعبدُ إذا صحَّ إسلامه، وزاد إيمانه، فإنَّ الله تعالىٰ يختبرُه ببعض أنواع الابتلاء، ليرفعَ درجاته، ويكفِّرَ سيئاتِه، ويقوِّيَ إيمانَه، ويُثبِّتَه علىٰ دينه، فقال له: «وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ»؛ وذلك لأنَّ الكفار إذا علموا به

سيحاولون قتلَه والتخلُّصَ منه؛ حتىٰ لا يوجدَ مَن يعلِّمُ الناسَ التوحيدَ والسُّنَّة.

٩- وهذا الغلامُ لحرصه علىٰ العلمِ وشدَّة صلاحه وإخلاصِه لله أكرَمَه اللهُ بإجابةِ دعائه، فكان يدعو الناسَ إلىٰ الإسلامِ والتوحيدِ والسنَّة، وكان حسَنَ الأخلاق، كثيرَ النفع للناس، فكان يبرئُ الأكمَهَ؛ أي: الأصمَّ، والأبكَمَ؛ أي: الأخرَسَ، ويشفي المرضىٰ بدعائه لهم، وإجابة اللهِ لدعائه، فكانوا يُسلِمون، ويعبدون اللهَ وحدَه لا شريك له، مع اعتقادهم التامِّ أنَّ الشافيَ هو اللهُ وحدَه.

١٠- وكان هناك جليسٌ للملِكِ قد أُصيبَ بالعمىٰ، فذهب إلىٰ هذا الغلامِ بهدايا كثيرةٍ، وقال له: اشفني وأُعطيك ما تريدُ من الأموالِ. فقال الغلام: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ**»، وردَّ إليه بصرَه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١- فعاد الجليسُ إلىٰ الملِكِ، وجلس بجواره كعادته، فقال له الملِكُ: مَن ردَّ عليك بصرَك ؟ فقال: ربِّي. فقال الملِك: أنا؟ قال الجليسُ: «**رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**»؛ أي: أنا وأنت بشرٌ مِن خلقِ الله، فأذِنَ الملِكُ في تعذيبِه وضربِه وجلدِه؛ ليعرفَ الذي علَّمَه هذا الدِّينَ وهذه العقيدةَ، ومن شدَّةِ التعذيب دلَّ علىٰ الغلام.

١٢- فبعث الملِكُ إلىٰ الغلامِ، وقال له: يا بنيَّ، هل بلغتَ من المهارة في السِّحرِ أنَّك تشفي المرضىٰ، وتبرئ الأكمَهَ والأبرَصَ؟ فقال الغلام: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**»، فهو الذي خلَقَ السمواتِ والأرضَ، وهو الذي يُحيي ويُميت، فأخذه وظلَّ يعذِّبُه ليدُلَّه علىٰ الذي علَّمه الإسلامَ، فلم يزَلْ يعذِّبُه حتىٰ دلَّ علىٰ الراهبِ العالمِ الذي علَّمه هذه العقيدةَ.

١٣- فأُتِي بالراهبِ إلىٰ الملكِ، وقال له: «**ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ**»، وقال: ربِّي وربُّك اللهُ، فقتَلَه بطريقةٍ شَنيعةٍ؛ حيث جاء

بالمنشارِ، ووضَعَه علىٰ رأسِ الراهبِ، وشقَّه نصفينِ وهو حيٌّ حتىٰ مات.

١٤- ثم قال للجليسِ الذي كان أعمىٰ وشفاه الله: «**ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ**»، فقتله مثلَ الراهبِ، وضع المنشار في مفرِقِ رأسه، وشقَّه نصفين حتىٰ مات.

١٥- وقال للغلام: «**ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ**»، فبعَث معه مجموعةً من الجنود إلىٰ أعلىٰ الجبلِ؛ ليذهبوا به ويَرُدُّوه عن الإسلام، وقال لهم: إنْ رجَعَ عن دينه فاتركوه، وإن لم يرجِعْ فاقتلوه.

١٦- فلما صُعِد به الجبل، دعا الغلامُ ربَّه وقال: «**اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ**»، فتزلزل الجبلُ، فسقطوا وماتوا أجمعون، ثم رجع الغلامُ إلىٰ الملك، فسأله عن الجنودِ، وقال: أين هم؟ قال الغلام: كفانيهم اللهُ بإهلاكهم وقَتلِهم جميعًا.

١٧- فأمر الملِكُ مجموعةً أخرىٰ من الجنود بأخذِ هذا الغلامِ في قُرْقُورٍ؛ أي: سفينةٍ صغيرةٍ، وأمرهم أن ينزلوا به البحرَ، وأن يُهدِّدوه، فإن رجع عن دينِه ردُّوه سالمًا، وإن لم يرجع ألقَوْا به في البحرِ.

١٨- فدعا الغلامُ ربَّه حين نزلوا إلىٰ البحرِ، وقال: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ**»، فغرِقوا أجمعونَ، وأهلكهم اللهُ سبحانه، ثم رجع الغلامُ للملك، وسأله عنهم، فقال له: كفانيهم اللهُ وأهلَكَهم.

١٩- ثم قال الغلامُ للملِكِ: «**إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ**»، وإن لم تفعَلْ فلن تستطيعَ قتلي، قال الملك: وماذا أفعل، قال الغلام: «**تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ**»؛ أي: في مكانٍ واسع، ثم تَصلِبُني علىٰ جِذعِ شجرةٍ أو نخلةٍ، وتأخُذُ سهمًا من كِنانتي، ثم تقولُ أمامَ الناس أجمعين: «**بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ**»، فإنَّك إذا فعَلتَ ذلك قتَلتَني.

وذلك ليُقِرَّ الملكُ أمامَ جميع الناس أنَّه ليس ربًّا ولا إلهًا، وإنَّما المستحقُّ للعبوديَّةِ هو اللهُ وحدَه رب العالمين.

٢٠- ففعل الملكُ ما أمره به الغلامُ، وأخذ السهم من كِنانته وقال: «**بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ**»، ثم رماه به فقتله، «**فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ**» رحِمَه اللهُ، ورضِيَ عنه.

٢١- فقال الناس: آمنَّا بالله ربِّ الغلامِ، وهذا هو الذي قصَدَه الغلامُ، أن يعلِّمَ الناسَ أن الملكَ ليس ربًّا ولا إلهًا، وأنه رجلٌ ظالمٌ، وأنه مجردُ مخلوقٍ ضعيف، لا يملكُ لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضَرًّا.

٢٢- فلما آمَنَ الناسُ الحاضرون جميعًا، قال الجنودُ الكَفَرةُ للملكِ: قد حدث ما كنتَ تحذَرُ، أنت مشركٌ كافر، أردت أن يكونَ الناس كلُّهم كفارًا مثلَك، وكنت تخافُ أن يُسلِموا ويؤمنوا باللهِ الواحدِ الأحد، فها هم قد أسلموا وآمنوا باللهِ ورسله.

٢٣- فأمر الملكُ بحفرِ الأخاديدِ- وهي الحُفَرُ الكبيرةُ- وإشعالِ النيرانِ فيها؛ لكي يُحرِقَ فيها مَن آمَنَ باللهِ ورُسُلِه، أمَّا من ارتدَّ عن دينه وكفر فلا يُحرَقُ فيها.

٢٤- فحفر جنودُه الأخاديد، وأشعلوا النارَ فيها، وأحرقوا المؤمنينَ بالله، حتىٰ إنَّهم أتوا بامرأةٍ ومعها طفلٌ رضيع ليُلقوها في النارِ إذا ثبتت علىٰ دين الله، فتراجعت وتردَّدتْ خوفًا علىٰ طفلِها، فأنطَقَ اللهُ الطفلَ الرضيع، وقال لها: يا أُمَّاه، اصبري، إنَّكِ علىٰ الحقِّ، ولذلك قال الله تعالىٰ في سورة البروج: {قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠}.

أي: لُعِن أصحابُ الأخدود الذين حفَروا الأخاديدَ، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوا فيها المؤمنينَ الموحِّدين.

٢٥- ثم قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠} [البروج:١٠]؛ أي: إنَّ هؤلاء الكفارَ الذين عذَّبوا أولياءَ الله المؤمنينَ بالنار وقتلوهم، لو أنَّهم تابوا إلىٰ اللهِ، وآمنوا به بعدَ ذلك كلِّه لقبِلَ اللهُ توبتَهم، وغفر لهم، وهذا من عظيمِ رحمةِ الله الواسعة.

ثالثًا: ما يستفاد من القصة

هذه القصَّة فيها فوائدُ كثيرةٌ عظيمة، نذكُرُ منها ما يلي:

١- أنَّ السِّحرَ كفرٌ، وأنَّه من أعظمِ وسائلِ الكفار في الضلال، ومحاربة الإسلام، ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ} [البقرة:١٠٢].

٢- أنَّ السِّحرَ علمٌ كلُّه ضررٌ محضٌ، لا نفعَ فيه، ولهذا قال الله تعالىٰ عن تعلُّمِ السحر: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ}.

٣- أنَّ العداءَ بين الكفر والإيمان قائمٌ إلىٰ قيام الساعة، ولهذا قال اللهُ تعالىٰ عن الكفار: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟} [البقرة:٢١٧]، وقال عن اليهودِ والنصارىٰ: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:١٢٠]، وقال سبحانه: {وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً} [النساء:٨٩]، فيستحيلُ علىٰ الكافر أن يحبَّ المسلمَ؛ بل جميعُ الكفار- من يهودٍ، ونصارىٰ، ومجوسٍ، ومشركين، وشيوعيين، وعلمانيين- أعداءٌ للمسلمين والإسلام.

٤- أنَّ الذَّهابَ للسَّحَرةِ والدَّجَّالين والعَرَّافين من الكفرِ بالله، قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»(١)، وهذا في حقِّ مَن صدَّقهم، وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»(٢)، وهذا في حقِّ مَن ذهب إليهم، ولم يُصدِّقْهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٣٨).

٥- أهميَّةُ التعليمِ في الصِّغَر، فالتعليمُ في الصِّغر كالنقشِ على الحجر، فمَن تعلَّمَ وحفِظَ في صغره سيظلُّ حافظًا وعالمًا في كبَرِه ولن ينسىٰ بإذنِ الله تعالىٰ، ولهذا حرَصَ الساحرُ علىٰ أن يختارَ الملكُ له غلامًا صغيرًا فَطِنًا ذكيًّا لَقِنًا سريعَ الحفظ.

٦- وجوبُ العناية بالنَّشءِ المسلمِ، وتعليم الصغار، وتحفيظهم القرآنَ والسنة، والعلوم الشرعية، فمن شبَّ علىٰ شيءٍ شاب عليه، كما قال الشاعرُ:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا * عَلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ**

٧- حرصُ الأعداءِ علىٰ التعاون فيما بينهم لإفسادِ الناس، ونشر الكفر والإلحادِ في الأرضِ، طوالَ حياتِهم، وعندَ مماتِهم، فهذا الساحرُ خشِيَ أن يموتَ ويموتَ سِحرُه بعده، فأراد أن يستخلفَ مَن يحملُ كفرَه من بعده، فتعاون مع الملِكِ علىٰ ذلك، واختار له غلامًا؛ ليُعلِّمَه هذا الكفرَ؛ ليكون إمامًا في السِّحرِ والكفرِ والضلالِ من بعده.

ولهذا قال الساحرُ للملكِ كما ورد في رواية الترمذي: «**انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَهِمًا- أَوْ قَالَ: فَطِنًا- لَقِنًا، فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا العِلْمُ، وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ**»(١).

٨- وجوبُ الحرصِ علىٰ أن نستخلِفَ مَن يحمِلُ علمَ الكتاب والسنة بفهمِ سلفِ الأمَّة في المسلمين، فهؤلاء الكفارُ حريصون علىٰ أن يستخلفوا مِن بعدهم مَن يحمِلُ كفرَهم؛ لينشُرَه في الأرضِ، فالأولىٰ بالمسلمين أن يحرِصوا علىٰ استخلافِ أبنائهم لحملِ الدعوةِ إلىٰ اللهِ بالعلمِ النافع والعمل الصالح.

٩- كلُّ مولودٍ يُولَد علىٰ الفِطرة، فالأصلُ أن كلَّ إنسانٍ يُولَدُ علىٰ الإسلامِ، وعلىٰ حبِّ التوحيد، ومعرفة الله تعالىٰ، وميله في الأصلِ للفضائل والمكارم، ولكنَّ الوالدينِ والبيئةَ والصُّحْبةَ هي التي تكون سببًا في انحرافِ هذه الفطرة، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ**

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»، ثم تلا أبو هريرةَ ﷺ قوله تعالىٰ: {فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [الروم: ٣٠](١).

فالغلامُ الذي اختاروه لتعلُّمِ السحر ذهب لقصرِ الملك يتعلَّمُ الكفرَ المناقضَ للفطرة والسنة التي فطَرَه اللهُ وخلقه عليها، ولهذا بمجرد أنِ التقىٰ بالراهبِ مال بفطرتِه إليه، وإلىٰ علمِه، ودينه، فتعلَّم وآمَنَ، وتمسَّكَ بالإسلام، ودعا الناسَ إلىٰ التوحيدِ، ومات علىٰ ذلك.

١٠- جوازُ الكذبِ علىٰ العدُوِّ لإنقاذِ النفس من الهلاكِ، وللنجاة من كيدِ الكفار، ولذلك أمر الراهبُ الغلامَ بالكذبِ علىٰ الساحرِ؛ حتىٰ لا يضرِبَه ويقول: «حَبَسَنِي أَهْلِي»، وبالكذب علىٰ أهله ويقول «حَبَسَنِي السَّاحِرُ»؛ حتىٰ ينجوَ من العذابِ الشديد،

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحتىٰ يستطيعَ أن يتعلَّمَ التوحيدَ والسنة، ويحملَ الإسلام؛ ليكونَ من دُعاتِه المخلصينَ، وجُندِه المجاهدين.

ولهذا أباح النبيُّ ﷺ الكذبَ علىٰ العدُوِّ في الحربِ لنجاة المسلمين من كيدِ الكفار.

١١- إذا لم يكن هناك طريقٌ للتخلصِ من الظلمِ والكفر إلا بالكذبِ جاز الكذبُ هنا للضرورة، وإلا فالأصلُ في الكذب أنه حرامٌ، ومن أكبرِ الكبائر، ولا يُباحُ إلَّا في الضرورات التي بيَّنها لنا النبيُّ ﷺ[(١)].

١٢- صاحبُ الفِطرةِ السليمةِ يميلُ بفطرته إلىٰ الحقِّ، وهذا يتضحُ من قولِ الغلام حين وجد الدابَّةَ العظيمةَ التي قطَعتِ الطريقَ علىٰ الناس وأخافَتْهم وأمسَكَ بحجرٍ لقتلها فقال: «**اللَّهُمَّ**

---

(١) عن أمِّ كلثوم بنت عقبةَ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا**». أخرجه أبو داود (٤٩٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ»، فقدَّم أمرَ الراهب؛ لأنَّه أحبُّ إليه، وإلىٰ فطرتِه، وهكذا كلُّ إنسانٍ سليمِ الفطرة، يميلُ بفطرته إلىٰ الحقِّ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم.

١٣- إثباتُ كراماتِ الأولياء، فالوليُّ هو المسلمُ المؤمنُ التقيُّ؛ لقولِ الله تعالىٰ: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣} [يونس:٦٢-٦٣]، فمَن كان مؤمنًا تَقِيًّا كان لله وليًّا، ومن فضلِ الله علىٰ أوليائِهِ المسلمين أنَّه يُكرِمُهم بكراماتٍ كحفظهم للإسلام، وهدايتِهم للطاعة، وثباتهم عليها، وتوفيقهم لذِكرِه وشُكرِه وحُسنِ عبادته، وإجابةِ دعواتهم، وتفريجِ كُرُباتِهم، كما جرىٰ لأصحابِ الكهف، ولمريمَ ابنةِ عمرانَ، وغير ذلك.

فاللهُ جل وعلا أكرم هذا الغلامَ بكرامةِ إجابة دعائه، فلمَّا دعا اللهَ بقتلِ الدابَّة، قتلها اللهُ، وحينَ كان يدعو بشفاء الأكمَهِ

والأبرَصِ والمرضىٰ كان اللهُ يجيبُ دعاءَه؛ لاستقامته وصلاحه وإخلاصِه لله، والمسلمون كلُّهم أولياءُ للرحمن علىٰ اختلافِ مراتبهم ودرجاتهم في الإيمان، قال اللهُ تعالىٰ: {ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥} [فاطر:٣٢-٣٥].

فبيَّن أنَّ الذين اصطفاهم اللهُ للقرآنِ الكريم هم المسلمون، وأنَّ المسلمين علىٰ ثلاثِ درجاتٍ: {فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ}؛ وهو المسلمُ الذي يفعلُ الطاعاتِ، ويرتكبُ الذنوبَ والمعاصيَ، فهو ظالمٌ لنفسه بمعصيتِه لله، أو بظلمه لغيره. {وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ}؛ وهو المسلمُ الذي يفعلُ الواجباتِ، ويتجنَّبُ المحرَّماتِ، وليس مجتهدًا في نوافلِ العبادات. {وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ}؛

وهو المسلمُ الذي يفعلُ الواجبات، ويتجنَّبُ المحرَّماتِ، ويجتهدُ في نوافلِ العبادات واجتناب المكروهات، وهذا أعلاهم منزلةً.

ثم بيَّن اللهُ تعالىٰ أنَّهم جميعًا من أهل الجنَّة؛ لأنَّهم جميعًا من الموحِّدين، مع تفاوُتِ منازلهم ودرجاتهم في الجنَّةِ، فقال الله تعالىٰ: {ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣}.

١٤- جوازُ مدحِ الإنسانِ في وجهه إذا لم يترتَّبْ عليه فتنةٌ أو مضرَّةٌ، كغرورٍ أو كبرٍ أو عُجبٍ بالنفس، واستفدنا ذلك من شهادةِ الأستاذ لتلميذه الغلامِ الصالح حين قال له: «**أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي**»، قال له ذلك ليعلِّمَه أنَّ اللهَ تعالىٰ أنعم عليه بنعمةِ الإسلام، والعلم، والعمل، وإجابة الدعاء؛ ليكونَ شاكرًا للنعم، قائمًا بأمر اللهِ بالدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس لمجردِ المدح، بل أراد أن يستخلفَه في نشر الخير،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويُحمِّلَه أمانةَ الدِّين، والجد والاجتهاد في نشرِ السنَّة، وكذلك ثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّه مدح أُناسًا في وجوههم، وبشَّرهم بالجنَّةِ كأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وغيرهم لقوَّة إيمانهم، فلم يَغترُّوا بهذا المدح؛ بل ازدادوا تواضعًا وانكسارًا وخوفًا من الله، وجِدًّا في العملِ واجتهادًا[١].

أمَّا إذا كان يُخشَىٰ علىٰ الممدوحِ من المدح، فلا يجوزُ مدحُه في وجهه، لنهيِ النبيِّ ﷺ عن ذلك[٢]، وقد قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ والمَدْحَ؛ فإِنَّهُ الذَّبحُ**»[٣].

---

(١) قال ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ**». أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، وابن ماجه (١٣٣).

(٢) عن المقداد رضي الله عنه قال: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ**». أخرجه مسلم (٣٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٥- الإبتلاءُ سنَّةٌ ربانيَّةٌ في الخلق، فلا بدَّ لكلِّ إنسانٍ من أن يُبتلَىٰ، ولكن البلاءَ لأهلِ الإيمانِ والإسلام يكونُ تمحيصًا لهم، ورفعةً لدرجاتهم، وكفارةً لسيِّئاتِهم، ويكونُ بلاءُ العبد علىٰ حسَبِ دينه وقوَّةِ إيمانه، أو ضعفه، قال النبيُّ ﷺ: «**يُبْتَلَىٰ الْعَبْدُ عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ ذَاكَ، فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاكَ- وَقَالَ مَرَّةً: أَشَدُّ بَلاءً- وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاكَ- وَقَالَ مَرَّةً: عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ-**»[(١)]، ولذلك قال الراهبُ للغلامِ: «**وإنَّكَ سَتُبتَلَىٰ**»؛ ليس علمًا منه بالغيبِ؛ ولكن لأنَّ هذه هي سنَّةُ الله، فكلُّ مَنِ استقام علىٰ منهجِ الله، ودعا إلىٰ اللهِ، لا بدَّ أن يكونَ له ابتلاءٌ اختبارٌ من اللهِ، قال الله تعالىٰ: {وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣} [العصر:١-٣]، وقال تعالىٰ عن لقمان وهو يعِظُ

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ابنه: {يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧} [لقمان:١٧].

١٦- الشافي هو اللهُ وحدَه، فلما ذهب جليسُ الملكِ للغلام حينما أصابه العمىٰ، وقال له: اشفني، قال الغلام: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ**».

والشافي مِن أسماءِ الله تعالىٰ، وكان النبيُّ ﷺ يقولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[(١)].

١٧- ينبغي علىٰ الدُّعاةِ إلىٰ اللهِ ومعلِّمي القرآنِ والسنَّة أن يكونوا أزهَدَ الناس في الدنيا، وألَّا ينظروا إلىٰ ما في أيدي الناسِ؛ أي: ينبغي أن يَتحلَّوا بعزَّةِ النفس، فالغلامُ لم يطمَعْ في هدايا الجليسِ، ولا في أمواله، مع أنَّه عرَضَ عليه كلَّ ذلك، ولم يطلُبْ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

بدعوته وتعليمه أموالَ الناس ولا دنياهم، إنَّما كانت دعوتُه لله وحدَه، وهذا من منهجِ الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله؛ حيث قال كلٌّ منهم لقومِه: {وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ} [الشعراء:١٠٩].

أمَّا أخذُ الأجرِ علي تعليمِ العلم الشرعيِّ أو الدنيوي كتحفيظِ القرآن واللغة العربية وغيرها فيجوزُ ولا حرَجَ علىٰ قولِ جمهورِ الفقهاء(١).

١٨- وجوبُ نسبةِ الفضل والنعم لله وحدَه، فحينما جاء الجليسُ للغلام وقال له: اشفني، قال له الغلامُ: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**»، فإن كان الغلامُ سببًا بدعائه والطبيبُ سببًا بطِبِّه ودوائِه، فهذا السببُ الذي تفضَّلَ به وقدَّرَه هو اللهُ وحدَه، فالفضلُ كلُّه للهِ العليِّ الكبير، قال تعالىٰ: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ} [النحل:٥٣]، وهذا لا يتنافىٰ مع وجوبِ شكر المخلوقين

---

(١) انظر تفصيلًا لتلك المسألة في بحث منشور علىٰ شبكة الألوكة بعنوان: «اللؤلؤ والمرجان في أحكام أخذ الأجرة علىٰ القرآن»: https://www.alukah.net/library/٠/١٥١٧٣٧/.

علىٰ ما أسدَوْه إلينا من فضلٍ وخيرٍ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١)، وقال ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»(٢)، فشُكرُ الناسِ مِن شكرِ الله تعالىٰ.

١٩- أنَّ عداءَ الكافر للمسلم ليس من أجلِ المال، ولا الأرض، ولا شيءٍ من عرَضِ الدنيا، إنَّما هو من أجلِ الدِّين، فأهمُّ شيءٍ عند الكافر أن يهدِمَ الإسلامَ، وأن يُخرِجَ المسلمَ عن الإسلام، أو يقتُلَه إن تمكَّن منه، قال تعالىٰ: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾} [الصف:٨]، وقال تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾} [الأنفال:٣٦]، وقال سبحانه:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ } [البقرة:٢١٧].

٢٠- «**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِن سامِعٍ**»(١)، فالغلامُ سمع من الراهبِ، فالغلامُ هو المُبلَّغُ من الراهبِ الذي سمع العلمَ من مشايخه، وقد نفعَ اللهُ بالغلامِ ما لم ينفعْ بشيخِه.

٢١- الدالُّ علىٰ الخيرِ له مثلُ أجر فاعله، فالراهبُ علَّم الغلامَ العلمَ النافع والعملَ الصالح، فله مثلُ أجرِ الغلام من غير أن ينقُصَ من أجر الغلام شيءٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَن علَّمَ آيةً مِن كتابِ اللهِ كانَ له أَجرُها ما تُلِيتْ**»(٢)، وقال: «**إِنَّ الدَّالَّ عَلَىٰ الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»(٣)، وقال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١).
(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٢٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧٠).
(٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).

٢٢- أعظمُ الشهداء مَن قُتِل بأيدي الكفارِ في سبيل إعلاء كلمةِ الله، ونُصرةِ دينه، مخلصًا لله، مثلُ: الراهبِ، والجليسِ، والغلام، رضِيَ اللهُ عنهم جميعًا.

٢٣- أنَّ الله تعالىٰ لا يقضي لعبادِه إلا الخيرَ، وإن كان البلاءُ في ظاهره شرًّا بالنسبة للعبدِ، ولكنَّه في قدرِ اللهِ خيرٌ مطلَقٌ، فهؤلاء المؤمنون الذين قتلهم الكفارُ، هم حتمًا ستنتهي آجالُهُم، ويموتون، ولكنَّ اللهَ تعالىٰ بفضلِه وكرمِه قدَّر لهم أن يموتوا شهداءَ في سبيلِه، فيكونوا من أهل الجنَّةِ، ويكونَ لكلٍّ منهم أجرُ الشهداء، فيتزوَّجَ بالحُورِ العِينِ، ويشفَعَ في سبعينَ من أهلِ بَيتِه، ويأمَنَ فِتنةَ القبر، وغير ذلك من النَّعيمِ الذي أعَدَّه اللهُ للشهداء.

٢٤- وجوبُ الصبرِ علىٰ البلاء، ومَن دعا إلىٰ اللهِ فلا بدَّ له من بلاءٍ، ولا بدَّ له من الصبرِ؛ لينالَ جزاءَ الصابرين، ولن يُمكَّنَ المرءُ حتىٰ يُبتلَىٰ، إن عاش سيُمكَّنُ، وإن مات فهو في سبيلِ الله.

٢٥- كلَّما كان الداعي إلىٰ اللهِ أنفَعَ للناس بمخالطتهم، وقضاءِ حوائجهم، ومواساتهم في أحزانِهم ومصائِبِهم، كانت دعوتُه مؤثِّرةً، وكان له نفعٌ وقبولٌ عظيمٌ عندَ الناسِ.

٢٦- ينبغي علىٰ الداعي إلىٰ اللهِ أن يستغلَّ حاجاتِ الناس إليه في دعوتهم وتعليمهم ونصحهم، فهذا الغلامُ كان يستغلُّ حاجاتِ الناس إليه بدعائه لهم بالشفاءِ من الأمراض ونحو ذلك في دعوتهم للإسلامِ والتوحيد، وقد آمن معه خلقٌ كثير.

ومثل: نبيِّ الله يوسُفَ عليه السلام، حين جاءه صاحباه في السجنِ، وسألاه أن يُؤوِّلَ لهما ما رأَيَا في المنام، دعاهم أولًا إلىٰ التوحيدِ، وإلىٰ الإسلامِ والإيمان، وأقام عليهم الحُجَّةَ، ثم بعد ذلك أوَّلَ لهم الرُّؤَىٰ، قال تعالىٰ: {وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ

وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾} [يوسف:٣٦-٤١].

٢٧- حقيقةُ الإيمان كامنةٌ في نفوسِ الناس، فينبغي استعمالُ الأسلوبِ الصحيحِ والعلمِ النافع والحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ} [النحل:١٢٥]، وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران:١٥٩].

٢٨- لا يجيبُ الدَّعوات ولا يفرِّجُ الكُرُباتِ إلا اللهُ، قال تعالىٰ: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾} [النمل:٦٢-٦٤]، وقال تعالىٰ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [غافر:٦٠]، وقال تعالىٰ: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة:١٨٦]، وقال النبيُّ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

فلما أراد الملِكُ إرهابَ الغلام وترويعَه حتىٰ يرُدَّه عن دينه بإلقائه من فوقِ الجبل أو بإلقائه في البحر، لجأ الغلامُ إلىٰ اللهِ، ودعا وقال: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهم بما شِئتَ**»، فاستجابَ اللهُ له، وكفاه شرَّهم، فأهلَكَهم جميعًا، ونجَّىٰ الغلامَ المسلمَ الصالح.

٢٩- الكافي هو اللهُ، قال تعالىٰ: {أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر:٣٦]، والكافي سبحانه هو الذي يكفي خَلْقَه ما أهَمَّهم، ويلبِّي حاجاتِهم، فهو سبحانه يكفي عبادَه شرَّ الأشرار، وكيدَ الفُجَّارِ، قال تعالىٰ: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾} [البقرة:١٣٧]، فلجأ الغلامُ إلىٰ الله ليُنجِّيَه من عدُوِّه، فكفاه اللهُ بقتلِهم ونجاتِه من كَيدِهم.

٣٠- معيَّةُ الله لعباده المتقينَ، قال تعالىٰ: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل:١٢٨]، وقال لموسىٰ وهارونَ عليهما السلام حينما خافا من فرعونَ أن يقتُلَهم: {لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾} [طه:٤٦].

ومعيَّةُ اللهِ تعالىٰ نوعان: **معيَّةٌ عامَّةٌ**؛ وهي معيَّةُ العلمِ، فاللهُ معنا جميعًا بعلمِه، يعلَمُ أحوالَنا، ويسمعُ أقوالنا، ويبصر أمورنا. **ومعيَّةٌ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاصَّةٌ؛ وهي معيَّةُ النصرِ والتأييد والحفظ والكفاية لعباده المؤمنينَ الصالحين.

فهذا الغلامُ كان اللهُ معه بنصرِه وتأييده، ومَن كان اللهُ معه فلا أحدَ يقدرُ علىٰ أن يضُرَّه، إلا بمشيئةِ اللهِ وحده.

٣١- دعوةُ المظلومِ مستجابةٌ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(١)، وقال ﷺ: «**ثلاثُ دَعَواتٍ مُستجاباتٌ: دَعوةُ الصائِمِ، ودَعوةُ المَظلومِ، ودَعوةُ المسافِرِ**»(٢)، فالغلامُ لمَّا دعا اللهَ علىٰ الظالمين الذين أرادوا قتلَه، وقال: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئتَ**»، استجاب اللهُ تعالىٰ في الحالِ، فأهلكهم جميعًا، وأنجاه من ظلمهم.

٣٢- من فوَّض أمره إلىٰ اللهِ وأحسَنَ التوكُّلَ عليه وأخلَصَ في اللجوءِ والضراعةِ إليه؛ كفاه اللهُ، ووقاه ووفَّقه لرضاه، قال تعالىٰ: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾} [آل عمران:١٧٣-١٧٤] ، فالغلامُ لمَّا فعَلَ ذلك كفاه اللهُ، وحفِظَه ورعاه.

٣٣- من الدَّعَواتِ المستجاباتِ التي يُدعَىٰ بها علىٰ الظالمين دعوةُ الغلام: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئتَ**»، ودعوة الرسول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**»(١).

٣٤- إماطةُ الأذىٰ عن الطريق صدقةٌ من أعظمِ الصدقات، فالغلامُ لمَّا أمسك الحجر دعا الله عز وجل بقتلِ الدابَّةِ التي تؤذي الناسَ؛ لإماطة أذاها عنهم، وكان عملًا صالحًا نافعًا.

٣٥- «**خَيرُ الناسِ أنفَعُهُم للناسِ**»(٢)؛ قاله الرسولُ ﷺ، فهذا الغلامُ كان من أنفعِ الناسِ للناس بدعوته للتوحيدِ، وأمرهم بالمعروف، ونَهيِهِم عن المنكر، والدعاءِ لهم بشفاءِ مرضاهم، وإماطةِ الأذىٰ عنهم، فكان من خيرِ الناسِ، رحِمَه اللهُ ورضِيَ عنه.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٧).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٧٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٦- من فرَّج كُرُباتِ الناس فرَّجَ اللهُ كُرَبَه، فقد كان الناسُ في كربٍ عظيمٍ بسبب هذه الدابَّةِ، فسخَّر اللهُ الغلامَ، لتفريج كَربِهم، ودَرْءِ الأذىٰ عنهم، بالدعاءِ ورميِ الدابَّةِ بالحجر، فقتلها اللهُ كرامةً للغلام، ورحمةً منه بخلقه، فكان الغلامُ سببًا في تفريج هذا الكربِ، وإزالة هذا الأذىٰ، قال النبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

٣٧- المؤمنُ الصادقُ المخلصُ هو الذي ينسب فعلَ الكرامةِ إلىٰ اللهِ لا إلىٰ نفسه، ولا تحمله كرامةُ الله له علىٰ العجبِ بنفسه، والغرور بنعمة الله عليه، والتكبُّرِ علىٰ خلقِ الله بها، فالغلامُ حينما أكرمه اللهُ بإجابة دعائِه لشفاء المريضِ، وإبراءِ الأكمهِ والأبرصِ قال له بعضُ الناس: اشفِني. قال: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ**». ولما قال له الملِكُ: **قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ**؟ فقال الغلامُ: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٠).

٣٨- الذي يخالطُ الناسَ ويصبرُ علىٰ أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم، ولا يصبرُ علىٰ أذاهم، كما أخبرنا رسولُ الله ﷺ [١]، ولذلك كان شأنُ الغلامِ في هذه القصة أعظَمَ وأنفَعَ من شأنِ الراهب، وجليس الملك.

٣٩- كلُّ مَن أخطأ في تعبيره لا يُترَكُ علىٰ خطئه؛ بل يُبيَّنُ له وجهُ الصواب، لا سيَّما إذا كان هذا الخطأُ ممَّا يمَسُّ عقيدةَ التوحيد أو حكمًا شرعيًّا، فلمَّا قال الجليسُ للغلام: اشفني. قال له: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**»، وكذا قالها للملكِ حينما قال له: «**أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟**». قال الغلام: «**إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**»، وهذا هو هديُ رسولِ الله ﷺ في مثلِ هذه الأمور، فلمَّا سجَدَ له معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه تعظيمًا له وتوقيرًا، قال له: «**فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ**

---

(١) قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ**». أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِزَوْجِهَا»[١]، فلم يترُكْ معاذًا علىٰ خطئِه، وإنَّما صحَّح له الخطأَ، وعلَّمه بالرفقِ واللين.

ولمَّا قال له رجُلٌ: ما شاءَ اللهُ وشِئتَ. قال له: «**أجَعَلْتَني للهِ نِدًّا، قُلْ: ما شاءَ اللهُ وَحدَه**»[٢].

ولمَّا سمِعَ الجاريةَ تمدَحُه وتقولُ: وفينا نبيٌّ يعلَمُ ما في غدٍ. قال: «**لا تَقولي هكذا، وقُولي ما كُنتِ تَقولِينَ**»[٣].

ولمَّا سمع عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ يحلِفُ بأبيه؛ أي: يحلِفُ بغير الله، قال له: «**أَلَا إنَّ اللهَ يَنهاكُم أنْ تَحلِفُوا بآبائِكُم، فمَن كانَ حالِفًا فلْيَحلِفْ باللهِ أو لِيَصمُتْ**»[٤]، وغير ذلك ممَّا ورد عنه ﷺ، وذلك لصيانةِ جنابِ التوحيد والشريعةِ من جهة، ولأنَّ تأخيرَ البيانِ عن وقت الحاجةِ لا يجوزُ من جهةٍ أخرىٰ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٩٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠١).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٨، ٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

٤٠- خيرُ الناس مسلمٌ تعلَّمَ العلمَ الشرعيَّ، وعلَّمه للناسِ يريد بذلك وجهَ الله، قال الله تعالىٰ: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾} [فصلت:٣٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «خَيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه»(١).

وهذا الغلامُ رحمه الله كانَ من هذا الصِّنف المبارك.

٤١- بركةُ المسلم هي نفعُه للناس بدعوتِهم إلىٰ اللهِ، وأمرهم بالمعروف، ونَهيِهم عن المنكرِ، وجلبِ النفع لهم، ودرءِ الشرِّ عنهم ما استطاع، ولذلك قال النبيُّ عيسي بنُ مريَمَ ﷺ: {وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾} [مريم:٣١].

وقد كانَ هذا الغلامُ مباركًا، تعلَّمَ العلمَ، وعلَّمَه، ودعا للتوحيدِ، وحارب الشركَ والبدعة، وأمر بالمعروفِ ونهىٰ عن المنكر.

٤٢- أنَّ اللهَ تعالىٰ يصطفي مِن خلقِه مَن يحملُ دينه، وينشره في الناس، ويتحمَّلُ الأذىٰ والمشقة في سبيل الله، وكان هذا الغلامُ

(١) سبق تخريجه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منهم، قال الله تعالىٰ: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب:٢٣]، وقال تعالىٰ: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾} [آل عمران:١٤٦-١٤٨] ، جعَلَنا اللهُ تعالىٰ وإيَّاكم منهم.

٤٣- اللهُ هو الذي يثبِّتُ العبدَ علىٰ الإيمان، ويهديه إليه بفضلِ رحمته سبحانه، {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم:٢٧]، وممَّا يُثبِّتُهم اللهُ به الحُجَّةُ والكرامةُ، فقد منحهم حُجَّتَه بوَحيه بكتابه وسنَّةِ رسولِه، وأكرمهم بأنواعِ الكرامات.

ومن تلك الكراماتِ نُطقُ الرَّضيعِ في المهدِ صبيًّا، فلمَّا تقاعَستِ المرأةُ المؤمنةُ وخافت علىٰ ولدِها من القتل بالنار أنطَقَ

الله رضيعَها؛ ليُثبِّتَها على الإيمانِ والتوحيد، ولا ترتدَّ إلى الكفرِ، وقال لها: «**يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ**».

٤٤- العملُ للدِّين والغَيرةُ على التوحيدِ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر مسؤوليةُ جميع المسلمين، كلٌّ بحسبِ إمكانياته؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[(١)]، وقال تعالىٰ: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [آل عمران:١١٠]، فمهمَّةُ الأنبياءِ والرسل وأتباعهم هي إقامةُ الدين، والدعوةُ إليه، بتعلُّمِه، وتعليمِه، والعمل به، والصبرِ في سبيل ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

فهذا هدهد يشغَلُه أمرُ التوحيد، ويغارُ عليه، فحينما يرىٰ مملكةَ سبأ تسجُدُ للشمس من دونِ الله، وتشركُ بالله، يذهَبُ فَزِعًا مهمومًا لنبيِّ الله سليمانَ ويقول له: {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾} [النمل:٢٢-٢٥].

وهكذا كان هذا الغلامُ البطلُ المجاهد الذي حمَلَ لواءَ الدعوة إلىٰ توحيدِ الله، وكان سببًا في إسلامِ أهل المدينة، وإيمانِهم، فله أجرُه، وله مثلُ أجورهم من غيرِ أن ينقُصَ من أجورهم شيءٌ.

٤٥- قال الغلامُ للملِكِ: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ...، تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي»، سببُ قولِه هذا أنَّه تيقَّن أن الملكَ لن يتركه ما دام متمسكًا بدينه حتىٰ يقتُلَه، فأيقن بالموتِ والقتل، فأراد أن ينشُرَ دينَ اللهِ في الناس كلِّهم، ويُبلِّغَهم التوحيدَ قبل موته، وذلك بالآتي:

أولًا: ببيانِ سببِ قتل الملك له، ولشيخه الراهبِ، وللجليس، وهو أنَّهم دانوا للهِ بالإسلامِ والإيمان.

ثانيًا: بإقرار الملكِ الذىٰ كان يدَّعي لنفسه الربوبيَّة بأنه ليس ربًّا ولا إلهًا، وإنَّما هو بشرٌ، مخلوقٌ، ضعيفٌ، فقير، سيموت، فحين يقولُ: «**باسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ**» فقد أقرَّ أمامَ جموعِ الناس بأنَّ هناك إلهًا واحدًا، وهو ربُّ الغلامِ، خالقُ السموات والأرض، المحيي المميت، مدبِّرُ الكونِ، مالكُ الملك.

ثالثًا: ببيانِ مدىٰ كفرِ هذا الملكِ، وظلمه، وفساده في الأرضِ بغير الحقِّ، بقتلِه لعبادِ الله الصالحين الذين ليس لهم جنايةٌ ولا تهمةٌ إلَّا أنَّهم قالوا: ربُّنا اللهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٦- السببُ في محاربةِ الكَفَرةِ والعُصاةِ للدُّعاة إلىٰ الله: أنَّ الداعيَ إلىٰ الله يأمُرُ بما يتنافىٰ مع الأهواءِ المُضِلَّة، فيرىٰ الكافرُ والعاصي أنَّ الداعيَ إلىٰ الله يجاهدُه في شهواته ونزواته وأهوائه المحرَّمة، فيردُّ عليه بالأذىٰ والضرر، فالزاني وشاربُ الخمر وتاجر المخدِّرات والذىٰ يُشرِك بالله وقاطعُ الطريق وغيرُهم من أهلِ الفساد لا يُحِبُّون من يحذِّرُ وينَهىٰ عن هذه المعاصي والشِّركيَّات، ويحاولون إسكاتَه؛ بل وإخراجَه من بلدهم إن استطاعوا، كما قال اللَّوَّاطون من قومِ لوطٍ: { أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦} [النمل:٥٦]، فاللوَّاطون لا يحبون مَن ينهاهم عن اللِّواط؛ بل يؤذونهم، ويحاولون طردَهم من بلدهم.

وهذا الغلامُ لمَّا كان يدعو إلىٰ التوحيدِ، ويحذِّرُ من الشركِ، ويدعو إلىٰ الفضيلة، ويحذِّرُ من الرذيلة، سعىٰ الملكُ وبِطانتُه من أهل الفساد في قتلِه وقتلِ مَن آمَنَ معه، ودانَ بدينِه.

٤٧- قولُ النبي ﷺ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: ربطٌ بينَ الحاضر والماضي؛ ليكون هذا واقعَ الدعوة منذ بدايتها إلىٰ

نهايتِها، فأهلُ الإيمانِ يدعون إلىٰ التوحيدِ والفضائل، وأهلُ الكفرِ يدعون إلىٰ الشِّركِ والرذائل، فعلىٰ المؤمن أن يجاهدَ بعلمِه ودعوته، ويصبرَ علىٰ ذلك حتىٰ يلقىٰ الله، فإنه ميِّتٌ لا محالةَ، فيموتُ علىٰ الإسلام وعلىٰ طاعةِ الله والدعوة إليه، فهذا أعظمُ شرفٍ يناله العبدُ في الدنيا، ويلقىٰ اللهَ به في القيامةِ.

٤٨- لم يذكُرِ النبيُّ ﷺ في الحديث صراحةً مكانَ القصةِ ولا زمانَها، لتجريدِ معانيها، والاستفادة منها علىٰ عمومها، فليس لذِكرِ الأسماءِ كبيرُ أثرٍ في ذلك.

٤٩- راوي هذه القصَّة عن رسولِ الله ﷺ هو الصحابيُّ الجليلُ صُهَيبٌ الروميُّ رضي الله عنه، وهو أيضًا أحدُ المجاهدين في سبيلِ الله بعلمه ودعوته، وسيفه وسلاحه، فقد آمَنَ باللهِ ورسولِه، وخرج من مكَّةَ مهاجرًا إلىٰ اللهِ ورسوله، فتعقَّبَه المشركون ليمنعوه، فدلَّهم علىٰ ماله كلِّه ليتركوه علىٰ دينه وهجرته، ففدىٰ نفسَه ودينَه بماله كلِّه، وأنجاه اللهُ من أيديهم، حتىٰ وصل إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ بالمدينةِ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**أبا يحيىٰ، رَبِحَ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البَيعُ»[(١)]، ونزَلَ فيه قولُ الله تعالىٰ: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧} [البقرة:٢٠٧].

فصُهَيبٌ الروميُّ راوي هذه القصَّة فيه كبيرُ شبهٍ بهذا الغلامِ، فكلاهما ضحَّىٰ بما يملِكُ ابتغاءَ مرضاة الله، ونُصرةِ دينِ الله، رضِيَ اللهُ عنهم وأرضاهم.

٥٠- أنَّ أعظمَ ما يكونُ من التجبُّر وقسوة القلب أن يجمَعَ الإنسانُ بين الكفرِ بالله ومحاربةِ دينه وأوليائه، كما جرىٰ من هذا الملِكِ وأعوانِه مع أصحابِ الأخدودِ المؤمنين الصادقين.

٥١- صوتُ الحقِّ وإن كان خائفًا خافتًا، إلا أنَّه أعلىٰ من صوتِ الباطل، وأشدُّ وقعًا وأثرًا في القلوب، وهو الباقي بفضلِ الله ورحمته.

٥٢- الحِكمةُ من إخبارِ الله ورسوله للمؤمنين بهذه القصَّة هو أن يتأسَّوا بهذا الغلامِ في الصبرِ علىٰ ما يلاقونه من أذًىٰ ومشقةٍ في سبيلِ دينهم، وإظهار دعوتهم، قال الله تعالىٰ: {لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٧٠٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [يوسف:١١١].

٥٣- الخسارةُ ليست في إزهاقِ النفسِ في سبيلِ الله؛ ولكنَّها بالرِّدَّةِ عن الدِّين، والتخلِّي عن مبادئه، والاستخفافِ بالحقِّ، والتهاون مع الباطل، قال تعالىٰ: {قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾} [الزمر:١٥]، والفوزُ والانتصار ليس في سلامةِ البدن، ولا صيانةِ المال، ولا حفظِ المركز، وإنَّما هو الثباتُ علىٰ الإيمانِ والتوحيدِ والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، حتىٰ بلوغِ الغاية العظمىٰ، قال الله تعالىٰ: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ} [آل عمران:١٨٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصة الخامسة
قصة عَطِيَّةِ النُّعمان بن بشير

أولًا: نص الحديث

عن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رضي الله عنه قال:

أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ». قَالَ: فَرَجَعَ، فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[1].

ثانيًا: مشاهد القصة

١ - أنَّ الصحابيَّ الجليلَ بشيرَ بنَ سعدٍ الأنصاريَّ رضي الله عنه كان متزوِّجًا بامرأتين، أنجَبَ من الأولى خمسةَ أبناء، وأنجَبَ من الثانية ولدًا واحدًا، وهو النُّعمانُ بن بَشيرٍ، وكانت أمُّه عمرةَ بنتَ

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَواحةَ أختَ الصحابيِّ الجليل عبد الله بن رَواحةَ رضي الله عنهم جميعًا.

٢ - فأرادت عمرةُ أمُّ النُّعمانِ من زوجها بشيرِ بن سعدٍ أن يخصَّ ولدَها بشيءٍ من المال علىٰ سبيلِ العطيَّة والهبة دونَ إخوته الآخرين، وقد ألحَّت عليه كثيرًا، وبعدَ هذا الإلحاح وهَبَه حديقةً وعبدًا.

٣ - فأرادت أمُّه عمرةُ بنتُ رَواحةَ أن توثِّقَ هذه العَطِيَّةَ حتىٰ لا يرجعَ فيها أبوه، ويأخُذَها منه بعد ذلك، فقالت لزوجها: والله لا أرضىٰ حتىٰ تُشهِدَ رسولَ اللهِ ﷺ.

٤- فذهب بشيرُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه بابنه النُّعمانِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وقال: يا رسولَ الله، إنِّي أعطَيتُ ابني هذا عَطِيَّةً؛ أي: وهَبتُه شيئًا من مالي، فقالت أمُّه: لا أرضىٰ حتىٰ تُشهِدَ رسولَ الله ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَلَكَ ولَدٌ غيرُه؟**»؛ أي: هل عندك أولادٌ آخرون سوىٰ هذا؟ قال: نعم يا رسولَ الله، وأشار بكفِّه بأصابعِه الخمسة؛ أي: لي خمسةُ أولادٍ غيره. فقال النبيُّ ﷺ: «**أتُحِبُّ أنْ يكونوا لكَ في البِرِّ سَواءً؟**»؛ أي: أتحبُّ أن يكونوا جميعًا بارِّينَ بكَ، مطيعينَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لك، محسنينَ إليك؟ قال: نعم يا رسولَ الله. فقال له النبيُّ ﷺ: «**أَعطَيتَ سائرَ ولَدِكَ مثلَ هذا؟**»؛ أي: هل أعطَيتَ باقيَ أبنائِك ممَّا أعطَيتَ النعمانَ من المالِ، سواء من العبيد أو من الحديقة؟ فقال: لا يا رسولَ الله. فقال النبيُّ ﷺ: اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا بينَ أولادِكُم، ولا تُشهِدْني؛ فإنِّي لا أشهَدُ علىٰ جَورٍ؛ أي: اتَّقِ اللهَ في أولادك، ولا تُفاضِلْ بينَهم في العطايا والهِبَاتِ لغير سببٍ شرعيٍّ يستلزمُ ذلك؛ بل سوِّ بينَهم حتىٰ لا يكرهَ بعضُهُم بعضًا بسبب هذا التفضيلِ، وحتىٰ لا يحسُدَ بعضُهم بعضًا، وحتىٰ لا يكرهوك أيضًا، وقال له: «**سَوُّوا بينَ أولادِكُم**»؛ أي سوِّ بينَ أبنائك في العطايا والأموالِ، لا تفرِّقْ بينهم، وقال له: «**لا تُشهِدْنِي**»؛ أي: علىٰ هذه الهِبَةِ التي فضَّلتَ بها ولدًا من أولادك علىٰ الآخرين بدون سببٍ يبيحُ لك ذلك؛ لأنَّ هذا من الظلمِ والجَورِ علىٰ الأولاد، وأنا رسولُ اللهِ لا أشهَدُ علىٰ جورٍ؛ أي: لا أشهَدُ علىٰ ظلمٍ.

٥ - وأمَرَه أن يرجِعَ في هذه الهبةِ وهذا العطاء، وقال له: «فاردُدْه»، «فارجِعْه»، فرجَعَ بشيرُ بنُ سعدٍ في تلك الهبةِ، ولم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يفضِّلْ أحدًا من أبنائه على الآخرين؛ طاعةً لله ورسوله ﷺ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أنكَرَ عليه هذا التفضيلَ، وبيَّن له أنَّ هذا من الجورِ والظلم الذي يورثُ الضَّغينةَ والحسدَ بين الأبناء، وكذلك يورثُ الكرهَ والعقوقَ من الأبناء لوالدهم.

ثالثًا: ما يستفاد من القصة

١- مشروعيَّة تعدُّد الزوجات، فيجوزُ للرجل أن يتزوَّجَ بامرأتين أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو يكتفي بواحدةٍ؛ لقول الله تعالى: {فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣} [النساء:٣]، ومن أنكر مشروعيَّةَ تعدد الزوجات أو كرِهَ ذلك، أو سخِرَ منه، فقد أنكر حكمًا من أحكامِ الله، أو كره شيئًا ممَّا أنزل اللهُ، أو سخِرَ بحكمٍ من أحكامه، وهذا كلُّه من الكفرِ بآيات الله وأحكامه، والواجبُ على المسلمِ أن يؤمنَ بكلِّ ما أنزَلَ اللهُ في الكتاب والسنَّة، وأن يسلِّمَ لأمر ربِّه، ويرضى ويقبلَ،

وينقادَ بالحبِّ والخضوعِ والاستسلام لله ربِّ العالمين، ولذلك كان بشيرُ بنُ سعدٍ ﷺ متزوجًا باثنتين في هذه القصَّة.

٢- استحبابُ كثرةِ الأولاد، وعدمُ جواز تحديدِ النسل؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**» (١)، وفي لفظٍ: «**فإنِّي مباهٍ بكم الأممَ يومَ القيامة**»؛ أي: أنَّ النبيَّ ﷺ يرغِّبُ في كثرةِ الإنجاب، وأنَّ ذلك ممَّا يَتباهىٰ به النبيُّ ﷺ عند ربِّه لكثرة أمَّتِه المسلمين، وقد كان لبشيرِ بن سعدٍ ﷺ ستةُ أولادٍ عندَ حدوثِ هذه القصَّة، ولم يكُنْ عندَهم شيءٌ يُسمَّىٰ تحديدَ النسل، فإنَّ تحديدَ النسل بدعةٌ جاءتنا من بلادِ الغرب الكفار؛ ليُقلِّلوا به عددَ المسلمين الموحِّدين العابدين لله ربِّ العالمين.

٣- جوازُ هبة الأبِ أو الأمِّ لأولادهما شيئًا من المال؛ بشرط أن يُسوِّيا بينهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠).

٤- التسويةُ بين الأولاد تكونُ في العطايا والهباتِ والأموالِ، وهذه التسويةُ لها صورتان:

الأولىٰ: أن تكونَ مساواةً حقيقةً، فيُعطَىٰ الولدُ ألفَ جنيهٍ، وكذلك تُعطَىٰ البنتُ مثلَه.

الثانية: أن تكونَ علىٰ قسمةِ الميراثِ؛ للذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأنثيين، فيُعطَىٰ الولدُ ألفَ جنيهٍ، وتُعطَىٰ البنتُ خمسَ مائة جنيهٍ، فالأمرُ واسعٌ، سواءٌ بهذا أو ذاك.

٥- حرمةُ تفضيلِ بعضِ الأبناء علىٰ بعضٍ في الأموال لغير مبَرِّرٍ شرعيٍّ؛ لأنَّ ذلك يورِثُ الحقدَ والحسدَ والضغينةَ والكرهَ بين الأولاد، وقد يورِثُ كراهيةَ الأولاد لأبيهم، وهذا يؤدي إلىٰ عقوقِ الوالدين.

٦- جوازُ تفضيل بعضِ الأبناء علىٰ بعضٍ، إذا كان هناك سببٌ شرعيٌّ يبيحُ ذلك، كأن يكونَ أحدُ الأبناء به مرَضٌ مزمِنٌ يُعجِزُه عن الكسبِ والعملِ، ويحتاجُ إلىٰ نفقاتٍ كثيرةٍ لعلاجه، أو كان فقيرًا، أو غارمًا، وعليه دَينٌ كبيرٌ، ونحو ذلك.

٧- جوازُ الميل القلبيِّ لأحدِ الأبناء عن الآخرين؛ لأنَّ الميلَ القلبيَّ بالحب لا يملِكُه إلا اللهُ، ولكن مع هذا الميلِ القلبيِّ يجب التسويةُ بينهم في المعاملةِ وفي العطاء، وعدمُ إظهار هذا الميل القلبيِّ أمامَ الأبناء؛ حتىٰ لا يَحسُدوا أخاهم، ويكيدوا له كيدًا، كما جرىٰ لنبيِّ الله يوسُفَ عليه السلام مع إخوتِه، بسبب ظهور الميلِ القلبيِّ من أبيه نبيِّ الله يعقوبَ عليه السلام له، قال تعالىٰ: {۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [يوسف:٧-١٨].

٨- يجوزُ للوالدِ أو الوالدة أن يهَبَ لأبنائه بعضَ المال بشرطين:

الأول: ألَّا يُعرِّيَ نفسه من كاملِ أملاكه؛ حتىٰ لا يكون ميراثًا علىٰ قيد الحياة؛ لأنَّ الميراثَ لا يكونُ إلا بعد موت المورِّث، والله أعلم بمَن يموتُ قبلَ الآخر، ومَنْ سيرث مَنْ، هل يموتُ الابنُ قبل الأب، أو الأبُ قبل الإبن، وهل سيرِثُ الابنُ الأبَ، أو الأبُ الابنَ، كلُّ هذا لا يعلمه إلا الله، فلا يجوزُ توريثُ الأبناء وتوزيعُ التركة والأبُ أو الأمُّ علىٰ قيدِ الحياة، ولكن بجوزُ أن يعطيَ أبناءَه شيئًا من أملاكه، فمثلًا: عنده منزلٌ وفدانان من الأرض الزراعية، فلو وزَّع بين أبنائه فدانًا ليعينَهم به في معيشتهم فذلك جائزٌ ولا حرَجَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- مثال آخر: لو أنَّ للوالد مالًا يبلُغُ مليونَ جنيهٍ، وعنده ثلاثةُ أولادٍ، وأعطىٰ كلًّا منهم مائةَ ألف ليتاجرَ به، أو يشتريَ شقة، أو يتزوَّجَ بها، والباقي في ملك الوالد، فلا بأسَ ولا حرج.

الثاني: أن يسوِّيَ بين أولاده في الهبةِ والعطاء، سواء بالتسويةِ الكاملةِ، أو علىٰ قسمة الميراث، للذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأنثيين، ولا يفضِّلُ أحدًا منهم إلَّا لمسوِّغٍ شرعيٍّ.

٩- جوازُ رجوعِ الأب أو الأمِّ في الهبة للأولاد، فالأصلُ أنه لا يجوزُ الرجوعُ في الهبة، إلا إذا كانت من الوالدِ لولده فيجوز؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ، كَالْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»[(١)]، فهذا هو الأصلُ العامُّ بعدمِ جوازِ الرجوعِ في الهبة، ولقول النبيِّ ﷺ في الحديث الآخر: «**إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ**»[(٢)]؛ أي: يجوزُ للوالد أن يرجعَ في هبته لولده؛ لأنَّ الولدَ وما يملِكُ ملكٌ لأبيه، ولذلك أمَرَ النبيُّ ﷺ الوالدَ أن يرجعَ في هبته وعطيَّتِه لولده النُّعمان، فرجع واستردها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٩)، ومسلم (١٦٢٢).
(٢) أخرجه أحمد (٢١١٩).

١٠- وجوبُ الرجوعِ في الهبة من الأب لولده إذا فضَّل الأبُ أحدَ أبنائه على الآخر لغير سببٍ شرعيٍّ؛ لحكم النبي ﷺ في هذه القصَّة.

١١- جوازُ الإشهاد على الهبات؛ لأنَّ بشيرَ بنَ سعدٍ رضي الله عنه ذهب ليُشهِدَ عليها رسول الله ﷺ.

١٢- وجوبُ أن يكونَ الشاهدُ عدلًا صالحًا، فإن شهادةَ الفاسق غيرُ مقبولة.

١٣- عدمُ جواز الشهادةِ على ظلمٍ أو شيءٍ محرَّم؛ لأن النبيَّ ﷺ قال له: «**لا تُشهِدْني؛ فإنِّي لا أشهَدُ على جَورٍ**».

١٤- جوازُ تحمُّلِ الرئيسِ والعالم والمفتي والقاضي وأفاضل الناس للشهادة، فهذا رسولُ الله ﷺ رئيسُ الأمَّة وعالمها وقاضيها ومفتيها، ذهب إليه النعمانُ ليشهدَه على هذه الهبة، وكان سيشهد عليها، لولا أنَّ فيها ظلمًا.

١٥- جوازُ استفصال الحاكمِ أو القاضي أو المفتي عمَّا يحتملُ الاستفصالَ عنه؛ لقول النبيِّ ﷺ لبشيرِ بن سعدٍ: «**أَلَكَ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولَدٌ غَيرُه؟»، وقوله: «أفَكُلَّهُم أعطَيتَ مثلَه؟»، وقوله: «أتُحِبُّ أنْ يكونوا لكَ في البِرِّ سواءً»، ووجوب ذلك أحيانًا.

١٦- وجوبُ السؤالِ عن حكمِ الشرع في أيِّ أمرٍ يقدِمُ عليه المسلمُ قبلَ الشروع فيه، فالعلمُ بحكم الشرع قبلَ القول والعمل، قال تعالىٰ: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾} [النحل:٤٣].

١٨- وجوبُ المبادرة إلىٰ قبولِ الحق، وتقديمُ محبَّة الله ورسوله علىٰ كلِّ محبَّة، فبشيرُ بن سعدٍ بمجرد أن أمره رسولُ الله ﷺ أن يعودَ في هبتِه وصدقته لولده لعدمِ جوازها، رجَعَ في الحالِ؛ طاعةً لله ورسوله؛ لأنَّ محبتَه لله ورسوله أعظمُ من محبَّتِه لزوجتِه وولده، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(١)]، وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا...»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨- استحبابُ أمر الحاكم والقاضي والمفتي للسائل والمتقاضي بتقوىٰ اللهِ تعالىٰ؛ لقول النبيِّ ﷺ لبشيرِ بن سعدٍ: «اتَّقُوا اللهَ واعْدِلُوا بينَ أولادِكُم».

١٩- جوازُ أو وجوب كلامِ الإمام أو العالم أو القاضي أو المفتي في مصلحةِ أولاد المسلمين، فإنَّ النبيَّ ﷺ سأل بشيرًا عن أولاده، وأمره أن يتقيَ اللهَ فيهم، وأن يعدِلَ بينهم، وأن يسوِّيَ بينهم، وألَّا يحمِلَهم علىٰ العقوقِ والعداوةِ بينهم.

٢٠- سوءُ عاقبة الحرصِ والتنطع، فهذه المرأةُ لمَّا سألت زوجَها أن يخصَّ ولدَها بمالٍ دون إخوته، واستجاب لها وأعطاه، حرَصَتْ علىٰ ألَّا يرجعَ في هذا المال، فألحَّت عليه أن يُشهِدَ النبيَّ ﷺ علىٰ ذلك؛ لئلا يرجعَ فيه، فكانت العاقبةُ أن النبيَّ ﷺ حرَّم هذه العطيَّةَ وهذا التصرفَ، وأمره بالرجوعِ في هذه الهبة واستردادها لنفسه، فأفضىٰ حِرصُها إلىٰ بطلان هذه الهبة.

٢١- فضائلُ الصحابة الكرام، بأنهم كانوا وَقَّافينَ عند حدودِ الله، طائعينَ للهِ ورسوله، فحين علِمَ بشيرُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه أنَّ تصرفَه هذا حرامٌ غير جائزٍ ومكروه في الشرع رجَعَ فيه علىٰ الفور؛ طاعةً

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لله ورسوله ﷺ، ورضِيَتْ زوجتُه وولده بحكمِ الله تعالىٰ، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، فهم الذين أخبَرَ اللهُ عنهم أنهم قالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾} [البقرة:٢٨٥]، وقال عنهم: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب:٢٣]، وقال سبحانه: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠].

٢٢- انتقامُ الله ممَّن يعصيه ويخالفُ حكمَه، ويفضل بعضَ أبنائه بغير حقٍّ، ومن يقبلُ التفضيلَ من الأبناء بغير حقٍّ ويعين أباه علىٰ الإثمِ والعدوان والقطيعة والعقوق والظلم وتوريث الحسد والكره بين الأبناء فهو آثمٌ، قال الله تعالىٰ: {تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [النساء:١٣-١٤]، والواقع خيرُ شاهدٍ، كلُّ مَن فضَّل أحد أبنائه لغير مبررٍ شرعيٍّ وَرَّث في أبنائه العقوقَ والكرهَ له، والحسدَ والضغينة بينهم،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأهان اللهُ الأبَ العاصيَ بهذا التفضيل، ولم يبارِكْ للولدِ الذي قبِلَ هذا التفضيلَ دون إخوته، قال تعالىٰ: {فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢} [الحشر:٢]، وقال: {وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١} [الذاريات:٢١]، وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن أخَذَ شِبْرًا منَ الأرضِ بغَيرِ حَقِّه طُوِّقَهُ مِن سَبْعِ أَرَضِينَ يومَ القِيامةِ**»(١).

٣٢- وجوبُ التأليفِ بينَ الإخوةِ وترك ما يوقعُ بينهم الشحناءَ، أو يورِثُ العقوقَ للآباء.

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

القصة السادسة
قصة السبعين ألفًا

أولًا: نص الحديث

عن حُصَينِ بنِ عبد الرحمنِ قال: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ. فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ،

فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». اللفظُ لمسلمٍ[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

ثانيًا: مشاهد القصة

الإمامُ سعيدُ بن جبيرٍ هو إمامُ التابعين، والتابعون هم تلاميذُ الصحابةِ الكرام، كان سعيدٌ جالسًا مع تلاميذِه، وسألهم عن الشِّهابِ الذي نزَلَ من السماء بالليل ليُحرِقَ الجِنِّيَّ الذي يريد استراقَ السمع، ويحاول أن يسمعَ ما يقولُه أهلُ السماء من أخبار أهلِ الأرض ليبلِّغَ هذه المعلوماتِ إلىٰ السَّحَرةِ، وكان هذا الشهابُ قد رآه سعيدُ بن جبيرٍ بالليل، فسأل الجالسين وقال: أيُّكم رأىٰ هذا الكوكبَ- أي: الشِّهابَ الثاقبَ- البارحةَ؛ أي: الليلةَ الماضية؟ فقال له حُصَينُ بنُ عبد الرحمن: أنا رأيتُه؛ لأنِّي كنتُ مستيقظًا بالليلِ بسبب أنَّ عقربًا لدَغَتْني، فمن شدَّةِ الألمِ لم يستطعِ النومَ.

وكان السلفُ الصالحُ يجتهدون في قيامِ الليل بالصَّلاة، وطلب العلمِ، والذِّكرِ، والاستغفار، فبيَّن أنَّه كان مستيقظًا بسبب مرضِه وتألُّمِه، ولم يكُنْ بسبب قيامِه لليلِ بالعبادة؛ طلبًا للإخلاص، وبعدًا عن الرياء والسُّمعة والتزين بما ليس فيه.

فلمَّا علِمَ سعيدُ بن جُبيرٍ أن حُصَينًا لدَغَتْه عقربٌ سأله، وقال له: ماذا صنَعتَ حينما لُدِغتَ؟ قال: استَرقَيتُ؛ أي: طلَبتُ مَن يَرقيني، فسأله سعيدٌ: لماذا فعَلتَ ذلك؟ فقال له: للحديث الذي أخبَرَنا به الشَّعبيُّ عن بُرَيدةَ بن الحُصَيبِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»؛ أي: أنَّ معظمَ الرُّقية تكونُ من العينِ ولدغةِ العقرب، والحيَّةِ، ونحو ذلك.

فقال له سعيدٌ: أحسنتَ؛ حيث إنَّك أتيتَ بدليلٍ عن النبيِّ ﷺ؛ ولكن الأفضلَ من ذلك ألَّا تطلُبَ من أحدٍ أن يَرقِيَك، وارْقِ أنتَ نفسَك، ولو أنَّ أحدًا رقاك من نفسه بغير طلبٍ منك فهذا أيضًا حسَنٌ جميل؛ وذلك لأنَّ النبيَّ ﷺ ذكر في الحديث أنَّ هناك سبعينَ ألفًا من هذه الأمَّةِ يدخُلونَ الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وهم الذين لا يسترقونَ؛ أي: لا يطلبون الرُّقيةَ من أحدٍ، مع أنه يجوزُ أن تطلبَ الرقية؛ لكنَّ تركَ ذلك أَوْلى، فمِن كمال التوكُّلِ علىٰ الله ألَّا تسألَ الناس شيئًا، وترقيَ نفسَك بنفسك، وتدعوَ الله تعالىٰ، وتُحسِنَ الظنَّ به والتوكُّلَ عليه.

ولا يرقي الإنسانُ نفسَه برُقيةٍ غير شرعيَّةٍ مخالفةٍ للكتابِ والسُّنَّة.

وكذلك مِن صفاتِ هؤلاء السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ: الذين لا يَكتَوُونَ؛ أي: لا يُعالِجونَ أمراضَهم بالكَيِّ بالنار، فالكَيُّ بالنارِ مكروهٌ، وليس بحرامٍ، وتَركُه أَوْلىٰ، إلَّا في الضرورة القصوىٰ، كما ورد عن النبيِّ ﷺ (١).

وكذلك من صفاتِهم أنَّهم لا يتطيَّرون؛ أي: لا يتشاءمون ولا يتفاءلون بوجهِ أحدٍ من المخلوقات، ولا بيومٍ من الأيام، ولا بمكانٍ من الأماكن، وإنَّما يُحسِنون الظنَّ بالله، ويعتقدون أن النفعَ والضرَّ بيد الله وحدَه.

وهم علىٰ ربِّهم يتوكَّلونَ؛ أي: يعتمدونَ علىٰ الله وحدَه في جلبِ النفع ودفع الضرِّ، مع الأخذ بالأسبابِ المشروعة وترك النتيجة علىٰ الله سبحانَه.

---

(١) عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرْطةِ مِحجَم، أو شَرْبةِ عسَلٍ، أو كَيَّةٍ بنارٍ، وأنا أَنْهَىٰ أُمَّتي عنِ الكَيِّ**». أخرجه البخاري (٥٦٨١).

فقام أحدُ الصحابةِ وهو عُكَّاشةُ بن مِحصَنٍ الأسديُّ وقال: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يجعَلَني من هؤلاء الذين يدخلون الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب، فبشَّره النبيُّ ﷺ وقال له: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فقام آخرون يطلبون ذلك، فأجابهم النبيُّ ﷺ بجوابٍ لطيف، وقال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»، وأغلق بابَ هذه المسألة؛ حتىٰ لا يُحرِجَ أحدًا لكونه ليس من هؤلاء السبعين ألفًا أو نحو ذلك.

ثالثًا: ما يستفاد من القصة

١- فيه دليلٌ علىٰ فضلِ السلفِ، وحِرصِهم علىٰ الإخلاصِ، وبُعدِهم عن الرِّياءِ والتزين بما ليس فيهم، فإنَّ حُصَينَ بنَ عبد الرحمن خشِيَ أن يظُنَّ الحاضرون أنَّه رآه وهو يصلِّي، فنفىٰ عن نفسه إيهامَ العبادة.

٢- قوله: «**ارتقيت**»، وفي لفظ مسلمٍ: «استرقيت»؛ أي: طلبتُ مَن يرقيني.

٣- قوله: «**فما حمَلَك علىٰ ذلك**»: فيه طلبُ الحُجَّة علىٰ صحَّة المذهب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- قوله: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»، العينُ هي إصابةُ العائن غيرَه بعينه، والحُمَةُ: سمُّ العقربِ وشبهها.

قال الخطابيُّ: ومعنىٰ الحديث: لا رُقيةَ أشفىٰ وأولىٰ من رُقيةِ العينِ والحمىٰ، وقد رقىٰ النبيُّ ﷺ ورُقِيَ له.

٥- قوله: «**قد أحسَنَ مَنِ انتهىٰ إلىٰ ما سمِعَ**»؛ أي: مَن أخذ بما بلغه من العلمِ وعمل به فقد أحسَنَ، بخلاف مَن يعمَلُ علىٰ جهلٍ، أو لا يعمَلُ بما يعلم، فإنه آثِمٌ، وفيه فضيلةُ علمِ السلفِ وحسنُ أدبِهم.

وقال ابنُ باز في «قرة العيون»: فيه حسنُ الأدب مع العلمِ وأهلِه، وأنَّ من فعل شيئًا سُئِل عن مستنده في فعلِه، هل كان مقتديًا أم لا؟ ومن لم يكُنْ معه حجةٌ شرعيَّةٌ فلا عذرَ له بما فعله،

ولهذا ذكر ابنُ عبد البَرِّ الإجماعَ على أن المقلِّدَ ليس من أهلِ العلم[١].

وقال ابنُ عبد الوهاب: فيه عمقُ علمِ السلف؛ لقوله: «**قد أحسَنَ مَن انتهى إلى ما سمِعَ**»، ولكن كذا وكذا، فعلم أنَّ الحديثَ الأولَ لم يخالِفِ الثاني[٢].

٦- قوله: «**وعُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ**»:

قال في «قرة العيون»: فاللهُ أعلم متى عُرِضت، وعرضُها أنَّ الله تبارك وتعالى أراه مثالَها إذا جاءتِ الأنبياءُ ومَن تبعهم، إمَّا في الإسراء والمعراج أو في المنام.

٧- قوله: «**فَرَأَيتُ النَّبيَّ ومَعَه الرَّهْطُ**»، ولفظ مسلمٍ: «الرُّهَيط» بالتصغير: فيه الردُّ على مَن احتجَّ بالكثرة، وفيه دليلٌ على أنَّ

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، المكتبة الثقافية (ص٦٣-٦٤)، وقرة عيون الموحدين، الشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص٦٠).

(٢) انظر: فتح المجيد (ص٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناجيَ من الأمم هم القليلُ، والأكثرون غلَبتْ عليهم الطبائعُ البشريَّة، فعصَوُا الرسلَ، فهلَكوا، كما قال تعالىٰ: {وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} [الأنعام:١١٦].

وقال اللهُ تعالىٰ: {وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢} [الأعراف:١٠٢].

وقال اللهُ تعالىٰ: {قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢} [الروم:٤٢].

الناجون وإن كانوا قلَّةً دونَ السوادِ الأعظم، فإنَّهم الأعظمون قدرًا عندَ الله، فلْيَحذَرِ المسلمُ أن يعتبرَ بالكثرة.

٨- قوله: «**قيلَ: هَذَا موسىٰ وقَومُهُ**»: فيه فضيلةُ أتباعِ موسىٰ من بني إسرائيل، وهم مَن آمَنَ منهم بالرسلِ والكتبِ التي أنزلها اللهُ؛ كالتَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ والفرقانِ وغيرِها، وكانت بنو إسرائيلَ قبلَ التفرق كثيرين، وفيهم الأنبياء، ثم بعدَ ذلك حدث ما حدث من اليهودِ، وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أنَّ التابعَ لموسىٰ عليه السلام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثيرون جدًّا، وقد قال تعالىٰ: {وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾} [الجاثية:١٦]؛ أي: في زمانهم.

٩- قوله: «**فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ عَظيمٌ. فقيل لي: هذه أُمَّتُك ومَعَهُم سَبعونَ ألفًا...**»:

أ- فيه فضيلةُ هذه الأمَّة؛ فإنَّهم أكثرُ الأمم تابعًا لنبيِّهم، وقد كثُروا في عهدِ الصحابة، وفي وقتِ الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم فملؤوا القُرىٰ والأمصارَ والقِفارَ، وكثُرَ فيهم العلمُ، واجتمعت لهم الفنونُ في العلومِ النافعة، فما زالت هذه الأمَّة علىٰ السُّنَّةِ في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلُّوا في آخر الزمانِ.

ب- وقال شيخ الإسلام: وفيه فضيلةُ هذه الأمَّةِ بالكميَّةِ والكيفيَّة، فالكمية الكثرة والعدد، والكيفية فضيلتُهُم في صفاتِهِم[(١)].

ج- وفيه: أنَّهم ما نالوا هذا الشرفَ إلَّا لتحقيقِهِم التوحيدَ.

---

(١) انظر: فتح المجيد (ص٦٦).

د- وفيه فضلُ الله وكرمُه ومَنُّه على هذه الأمَّةِ؛ إذ يُدخِلُ منهم سبعين ألفًا الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وعند أحمدَ والبيهقيِّ من حديث أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**فَاسْتَزَدتُّ ربِّي، فزادَنِي مَعَ كلِّ ألفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**»(١).

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ(٢): إسناده جيِّد.

وقد صحَّحه محقِّقوا «تفسيرِ ابن كثير»، ومن فضله عليهم أن بعْثَ النارِ من يأجوجَ ومأجوجَ، تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون مِن كلِّ ألفٍ، وواحدٌ فقط من هذه الأمَّةِ.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ**

---

(١) أخرجه أحمد (٨٧٠٧).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٠).

حَمْلَهَا وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ». قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»[١].

- ومن فضلِه أنَّنا ثلثا أهلِ الجنَّة؛ حيث إنَّهم مئةٌ وعشرون صفًّا، ونحن ثمانون صفًّا؛ لقول النبيِّ ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢). واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩).

١٠- قوله: «فخاضَ الناسُ في أولئك»:

- فيه إباحةُ المناظرةِ والمباحثة في نصوصِ الشرع على وجه الاستفادة وبيانِ الحقِّ.

- وفيه عمقُ علمِ السلف لمعرفتهم أنَّهم لم ينالوا ذلك إلا بعملٍ.

- وفيه حِرصُهم على الخير.

- وفيه فضلُ الصحابةِ في مذاكرتِهم العلمَ، وحرصِهم على فهمِ ما حدَّثَهم به نبيُّهُم؛ حرصًا على العمل به.

- وفيه جوازُ الاجتهادِ فيما لم يكن فيه دليلٌ؛ لأنَّهم قالوا باجتهادهم ولم يُنكِرِ النبيُّ ﷺ ذلك عليهم؛ لكن المجتهدَ إذا لم يكُنْ معه دليلٌ لا يجوزُ له أن يجزمَ بصواب نفسه؛ بل يقول: «لعلَّ الحكمَ كذا وكذا»، كقولِ الصحابةِ رضي الله عنهم في هذا الحديث.

١١- ورد في الحديث لفظ: «لا يَرْقُونَ» عند بعضِ المحدِّثينَ؛ ولكن هذه الزيادةَ شاذَّةٌ، ولا تصحُّ، قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«هذه الزيادة وهَمٌ من الراوي، لم يقُلِ النبيُّ ﷺ: «لا يرقون»، وقد قال النبيُّ ﷺ وقد سُئِل عن الرُّقَىٰ: «**مَنِ استَطاعَ مِنكُم أنْ يَنفَعَ أخاه فلْيَنفَعْه**»(١)، وقال ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»(٢)، وقد رقىٰ جبريلُ النبيَّ ﷺ، ورقىٰ النبيُّ ﷺ أصحابَه».

قال: والفرقُ بينَ الراقي والمُسترقي: أنَّ المسترقِيَ سائلٌ، ملتفتٌ إلىٰ غير الله بقلبه، والراقي محسن.

قال: وإنَّما المرادُ وصفُ السبعين ألفًا بتمام التوكُّلِ، فلا يسألون غيرهم أن يَرقيَهم ولا يَكوِيَهم.

١٢- في قول عُكَّاشةَ وغيره للرسولِ ﷺ: «**ادْعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم**»:

- فيه طلبُ الدعاءِ من الفاضل الذىٰ تُرجَىٰ إجابةُ دعائه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩). وانظر: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وفيه أنَّ شفاعةَ الحيِّ ممَّن تسأَلُه الدعاءَ إنَّما تكونُ بدعائه، وبعدَ الموت قد تعذَّر ذلك بأمورٍ لا تخفىٰ علىٰ مَن له بصيرةٌ، فمَن سأل ميِّتًا أو غائبًا فقد سأله ما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ، وكلُّ مَن سأل أحدًا ما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ فقد جعله نِدًّا للهِ، كما كان المشركون يفعلونَ ذلك، قال اللهُ تعالىٰ: {فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٢﴾} [البقرة:٢٢].

١٣- فيه بابُ سدِّ الذرائع؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لما قام رجل آخَرُ وطلب منه الدعاءَ له كعُكَّاشةَ قال له: «**سبَقَكَ بها عُكَّاشةُ**»، فقد أجاب بهذا الجوابِ من باب سدِّ الذريعة؛ لئلا يتتابعَ الناسُ علىٰ ذلك السؤال، فيسأله مَن ليس أهلًا له، وذلك منه ﷺ تعريضٌ، كما لا يخفىٰ، ففيه استعمالُ المعاريض، وحسنُ خُلقِه ﷺ.

١٤- أنَّ كلَّ أمَّة تُحشَرُ معَ نبيِّها.

١٥- قلَّة مَن استجاب للأنبياءِ، ومَن لم يُجِبْه أحدٌ جاء وحدَه.

١٦- عدمُ الاغترارِ بالكثرةِ، وعدمُ الزهدِ في القلة.

١٧- الرخصةُ في الرُّقيةِ من العينِ والحُمَة.

١٨- بُعدُ السلفِ عن مدح الإنسان بما ليس فيه، كما سبق في حُصَينِ بن عبد الرحمن.

١٩- فضلُ عُكَّاشةَ بن مِحصَنٍ، وهو ممَّن نجزمُ له بالجنَّةِ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، ولا نشهد لأحدٍ بذلك أو بخلافه إلا بنصٍّ من الشرع.

٢٠- قوله: «أنتَ منهم»: علَمٌ من أعلام النبوَّة، وهو بوحيٍ من اللهِ، فالنبيُّ ﷺ لا يعلَمُ الغيبَ.

٢١- الكَيُّ جائزٌ؛ ولكن مع الكراهةِ؛ لما يأتي:

- روىٰ الإمام مسلمٌ عن جابرِ بن عبد اللهِ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ إلىٰ أُبَيِّ بنِ كعبٍ طبيبًا، فقطَعَ له عرقًا وكواه[1].

- روىٰ الترمذيُّ عن أنسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ كوىٰ أسعد بن زرارةَ من الشوكةِ، الشوكة: حمرةٌ تعلو الوجهَ والجسد[1].

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- روىٰ البخاري عن أنسٍ؛ أنَّه كوىٰ من ذات الجنبِ والنبيُّ ﷺ حيٌّ[٢].

ذاتُ الجَنبِ: قرحةٌ كبيرةٌ تظهر في باطنِ الجنبِ، وتنفجر إلىٰ داخلِ الجسمِ، وقلَّما يسلَمُ صاحبه، وقيل: لعلها السلُّ. واللهُ أعلم.

- روىٰ البخاري عن ابن عباسٍ مرفوعًا: «**الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: شَرْبةِ عسَلٍ، وشَرْطةِ مِحجَمٍ، وكيَّةِ نارٍ، وأنا أَنْهَىٰ أُمَّتي عن الكَيِّ**»[٣]، وفي لفظٍ: «**وما أُحِبُّ أن أكتويَ**»[٤].

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله[٥]: «قد تضمَّنت أحاديثُ الكيِّ أربعةَ أنواع:

---

(١) سنن الترمذي (٢٠٥٠).
(٢) صحيح البخاري (٥٧١٩).
(٣) صحيح البخاري (٥٦٨٠، ٥٦٨١).
(٤) صحيح البخاري (٥٦٨٣).
(٥) انظر: الطب النبوي (ص٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحدها: فعله. الثاني: عدمُ محبَّته. الثالث: الثناءُ علىٰ من تركه. الرابع: النهيُ عنه.

ولا تعارُضَ بينها بحمدِ الله.

فإن فعلَه يدلُّ علىٰ جوازه، وعدمَ محبَّتِه لا يدلُّ علىٰ المنعِ منه، والثناءَ علىٰ تاركه يدلُّ علىٰ أنَّ تَركَه أَوْلىٰ وأفضل. والنهيَ عنه علىٰ سبيلِ الاختيار والكراهة[١].

٢٢ - حكم التداوي[٢]:

المشهورُ عند أحمدَ أنَّه مباح، والمشهور عند الشافعيَّةِ أن تَركَه أفضلُ، ومذهبُ أبي حنيفةَ أنَّه مؤكَّدٌ حتىٰ يدانيَ به الوجوبَ، ومذهبُ مالكٍ أنَّه يستوي فعله وتركه، قال مالكٌ: لا بأسَ بالتداوي، ولا بأسَ بتركه.

وقال شيخ الإسلام: ليس بواجبٍ عند جماهيرِ الأئمة من أصحاب الشافعيِّ وأحمدَ.

---

(١) انظر: فتح المجيد (ص٦٥-٦٧).

(٢) انظر هذه المسألة في: فقه النوازل، لبكر أبو زيد (٢/ ٢٠)، وموسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٧١٣).

القصة السابعة
قصة القاتل تسعةً وتسعين نفسًا

أولًا: نص الحديث

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن النبيِّ ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[(١)].

ثانيًا: مشاهد القصة

١- قصَّة هذا الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ يحكي لنا هذا الخبرَ عن رجلٍ ممَّن كان قبلَنا من الأممِ السابقة، وكان رجلًا عاصيًا جبارًا، وكان من عصيانه أنَّه قتَلَ تسعةً وتسعين إنسانًا، وقتلُ النفس بغير حقٍّ من أكبرِ الذنوب والمعاصي التي نَهَىٰ الله عنها؛ لقول الله تعالىٰ: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾} [النساء:٩٣].

٢- ثم إنَّ هذا الرجلَ بعد أن أسرَفَ في المعاصي والقتل ندِمَ علىٰ ما عمِلَ من الذنوب والمعاصي، ندِمَ علىٰ سفكِه للدماء بغير حقٍّ، فأراد أن يتوبَ ويرجع إلىٰ الله، فسأل عن عالمٍ يستفتيه هل من الممكن أن يتوبَ وأن يغفرَ اللهُ له كلَّ هذه الذنوب أم لا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

فدلَّه الناسُ على رجلٍ صالحٍ عابد، وليس بعالمٍ ولا فقيه، وقال له: إنِّي قتَلتُ تسعة وتسعين نفسًا، فهل يمكن أن أتوبَ؟ فقال له: لا. فقتل هذا الرجلُ ذلك العابدَ، فأتمَّ به المئة.

٣- ثم أراد أن يتوبَ إلى الله، وسأل عن عالمٍ فقيه، فدُلَّ على عالمٍ فقيه، فقال له: نعم، يمكنك أن تتوبَ إلى الله وتعودَ إليه، ويغفر لك، ولكن حتى تستطيعَ أن تتوبَ وتُقلِعَ عن المعاصي لا بدَّ لك من مفارقة أهل السوء وصحبة الفساد وبلد السوء، وأن تخرجَ إلى بلدٍ صالح، فيه أُناسٌ صالحون يعبدون الله، تتعلَّم منهم العلمَ النافع والعمل الصالح، وتصاحبهم، وتكون مثلَهم في الصلاح، فإن فعلتَ ذلك تمكَّنتَ من التوبةِ، والله يغفر لك.

٤- فخرج إلى البلدِ الصالح كما أمره العالمُ بنيَّةٍ صالحةٍ خالصةٍ لله، وفي أثناء سيره في منتصفِ الطريق مات هذا الرجُلُ، فلمَّا مات اختَصَمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، هؤلاء يقولون: هو من أهل الجنَّة؛ لأنه جاء تائبًا مقبلًا على الله بقلبه. وهؤلاء يقولون: بل هو من أهل النارِ؛ لأنه قتل مئةَ نفس. فقيَّد الله لهم ملَكًا آخرَ في صورة إنسانٍ، فجعلوه حكمًا بينهم، فقال: قيسوا

ما بين البلدين، بلدِ الطاعة وبلدِ المعصية. فطوىٰ اللهُ الأرضَ، وقرَّبه جهةَ بلد التوبة، فكان من أهلها.

وذلك بعظيم عفوِ الله وكرمِه ورحمتِه التي وسِعَتْ كلَّ شيء؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يفرَحُ بتوبة عبده إذا تاب إليه، ويغفرُ له ويرحَمُه.

ثالثًا: ما يستفاد من هذه القصة

١- قتلُ النفس البريئة من أكبرِ الكبائر وأعظمِ الجرائم؛ لقول الله تعالىٰ: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾} [النساء:٩٣].

٢- قبولُ توبةِ القاتل، فلو أنَّ إنسانًا ارتكب جنايةَ قتلٍ، وأراد أن يتوبَ إلىٰ اللهِ بإخلاصٍ وصدقٍ، قبِلَ اللهُ توبتَه، وهذا هو قولُ جماهير السلفِ والخلف؛ لقول الله تعالىٰ: {وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾} [الفرقان:٦٨-٧٠].

ولقوله تعالىٰ: {۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر:٥٣].

ولأنَّ هذا الرجلَ صاحبَ هذه القصَّة لمَّا تاب ورجع إلىٰ اللهِ قبِلَ اللهُ توبتَه، وغفر له، وهذه التوبةُ فيما يخُصُّ حقَّ الله وحده؛ فجريمةُ القتل تتعلَّق بها ثلاثةُ حقوقٍ:

الأول: حقُّ الله. والثاني: حقُّ المقتول. والثالث: حقُّ أولياء الدم.

فهذه التوبة مقبولةٌ في حقِّ الله تعالىٰ، أما في حقِّ المقتول وأولياء المقتول فمآلُها إلىٰ الله تعالىٰ أيضًا، ولا يعلَمُ قبولَها من عدمه إلا الله، ولذلك قال ابنُ عباس رضي الله عنهما بأنَّ القاتلَ ليست له

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توبةٌ، ولعله- فيما يظهرُ- يقصد ما كانَ في حقِّ القتيل؛ لأنَّه لا يمكنُ الوصولُ إليه واستحلاله من دمه وذنبه في الدنيا.

٣- مشروعيَّةُ التوبة من جميعِ الذنوب والمعاصي؛ لأنَّ القتلَ من أعظمها وأكبرها، وقد قبِلَ اللهُ توبةَ القاتل، وغفر له، واللهُ تعالىٰ يقول: {۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣} [الزمر:٥٣].

ومعلومٌ أنَّ المشركَ لو تاب إلىٰ الله قبِلَ اللهُ توبتَه، وبدَّل سيِّئاته حسناتٍ؛ لقول الله تعالىٰ: {وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠} [الفرقان:٦٨-٧٠].

وقد تواترت أدلَّةُ الشرعِ علىٰ ذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- خطورةُ صُحبةِ الأشرار؛ لأنَّ صُحبةَ هذا القاتل لأهل الشرِّ والفساد كانت أكبرَ سببٍ لارتكابه القتلَ وغيرَه من المعاصي، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(٢).

وقال ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(٣).

٥- بركةُ صُحبة الصالحين، فبمجرَّد ذَهابِ هذا الرجل القاتل التائب إلىٰ بلدِ الصلاح لصحبة أهلِ الصلاح والتعلم منهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتعبُّدِ معهم مع صدق توبتِه؛ غفرَ اللهُ له، فما بالنا لو صحِبَهم وتعلَّم علمَهم، وتعبَّد بعبادتهم؟!

٦- خطورةُ الفتوىٰ بغير علمٍ، فالذي يُفتي في دينِ الله بغير علمٍ يضُرُّ نفسَه، ويضُرُّ غيره، ويكذِبُ علىٰ ربِّه، ويتضح ذلك من هذا الرجلِ العابد التي أفتىٰ بغير علمٍ لهذا القاتل، وقال له: ليست لك توبةٌ. فأدَّىٰ ذلك إلىٰ أن القاتلَ عصىٰ ربَّه، وارتكب جنايةَ قتلٍ أخرىٰ، وأدَّىٰ ذلك إلىٰ هلاكِ العابد المفتي بغير علمٍ بقتله علىٰ يدِ هذا القاتل، حتىٰ كان تمامَ المئة قتيل.

ولهذا حذَّر اللهُ ورسولُه من الفتوىٰ بغير علمٍ؛ لأنَّها تقوُّلٌ علىٰ اللهِ بغير دليلٍ ولا برهانٍ، قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩} [يونس:٦٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن يقُلْ عليَّ ما لم أقُلْ فلْيَتبوَّأْ مَقعَدَه مِنَ النارِ**»(١).

(١) أخرجه البخاري (١٠٩)، ومسلم (٢).

٧- فضلُ العلم وأهله، فالعلمُ نورٌ وهداية، والجهلُ ظلامٌ وضلال، فالعابدُ الجاهل لما أفتىٰ أهلك نفسَه، وأضرَّ بغيره، والعالمُ لما أفتىٰ أحيا أنفُسًا كثيرةً، وهدىٰ اللهُ به غيرَه، وأنقذ الناسَ من شرِّ القاتل، وذلك يتضحُ من فتوىٰ العالم ونصحِه للقاتل، فقد أفتاه بأنَّ له توبةً، وبيَّن له سبيلَ التوبة بالبعدِ عن رُفقةِ الأشرار، وهجرِ بلد السوء، وصُحبة الصالحين، وطلب العلمِ النافع، والعمل الصالح، والإخلاص لله في ذلك كلِّه.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»(١).

فشبَّه النبيُّ ﷺ العالمَ بالقمرِ المنير الذي يضيءُ الدنيا كلَّها بنوره الذي نوَّره اللهُ به، فهكذا العالمُ يُنيرُ للناس دنياهم بالعلمِ النافع، والعملِ الصالح، بنورِ القرآن والسُّنَّة، يُخرِجُهم بهما من

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٥)، وابن ماجه (٢٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الظلماتِ إلىٰ النور، ومن الكفرِ إلىٰ الإيمان، ومن الشِّركِ إلىٰ التوحيد، ومن المعصيةِ إلىٰ الطاعة والتوبة والإنابة.

٨- مفارقةُ أماكنِ الفتن وأهل الفتن والفساد والبدع، وهذا يتضحُ من نصيحة العالم لهذا التائب بمفارقة أرضِ السوء، وأهل السوء، وأن يخرُجَ مهاجرًا لبلد الطاعة وأهلِ الطاعة؛ حتىٰ يستطيعَ التوبةَ، ويستقيمَ له دينُه وعمَلُه الصالح.

ولذلك قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾} [الأنعام:٦٨].

وقال النبيُّ ﷺ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ؟ قَالَ: «**لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤).

لأنَّ الإنسانَ يتأثَّر لا محالةَ بالبيئة التي يعيشُ فيها، وبالناس الذين يعيشُ بينهم.

٩- يستحيلُ علىٰ أيِّ إنسانٍ أن يتوبَ وأن يستقيمَ علىٰ دين الله إلا بِهَجْرِ أهلِ الفساد، ولا تصحُّ توبته إلا بذلك، وهذا ظاهرٌ من الحديث.

١٠- أنَّ الإنسان مهما أذنب فلا ييأسُ من رحمة الله؛ لأنَّه إذا يئِسَ من رحمةِ الله ازداد طغيانًا وفسادًا، وهذا واضحٌ من فتوىٰ العابدِ الجاهل بعدم قبولِ توبة القاتل، فزاده ذلك يأسًا من الرحمةِ، وزيادةً في الطغيان، فقتَلَه، وأتمَّ به المئة.

١١- جوازُ التحكيم، وأنَّ مَن رضِيَه الخصمان حكمًا بينهما فحُكمُه جائزٌ، وملزمٌ إذا كان الحكمُ صالحًا لذلك، وكان الحكمُ موافقًا للحق.

١٢- وجوبُ الإنكار على مَن أفتى بغير علمٍ، أو بغير الدليل الصحيحِ والحق الواضح؛ حيث قال العالِمُ منكرًا على فتوى العابد: ومَن يحولُ بينك وبين التوبة؟!

١٣- كثيرٌ من العبَّاد يغترُّ بصلاحِه وعبادته، فيتصدَّرُ للفتوى، وهو ليس لها بأهلٍ، فيضرُّ نفسَه وغيره، مثل هذا العابدِ الراهب الذي أفتى بعدم قبولِ توبة القاتل.

١٤- اللهُ يُطلِعُ رسُلَه وملائكتَه على ما يشاء من غَيبِه، فقد أطلَعَ ملائكةَ الرحمة على ما في قلب هذا القاتلِ التائب، وأنَّه صادقٌ في توبتِه، فقالوا: جاء مقبلًا بقلبِه، ولم يُطلِعْ على ذلك ملائكةَ العذاب، فقالوا: لم يعمَلْ خيرًا قط.

١٥- إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، والنيَّةُ عملٌ من أعمالِ القلوب، يُثاب المرءُ عليه إن كان خيرًا، ويأثم إن كان شرًّا، ويتضحُ هذا المعنى من هذه القصةِ في قول ملائكة الرحمةِ: إنَّه جاء تائبًا بقلبه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال النبيُّ ﷺ في غزوةِ تبوك: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»(١).

شركوكم الأجر، حبسهم العذر (حبسهم المرض)، فهؤلاء الذين تخلَّفوا عن الغزوِ لعُذرِهم أخذوا الأجرَ بنيَّاتِهم الصادقة.

وبيَّن اللهُ تعالىٰ في القرآن أنَّ قومًا بيَّتوا النيَّةَ بالليل علىٰ منعِ زكاة أموالهم، فعاقبهم اللهُ بتلَفِ الزروعِ والثمار قبل طلوع الفجر.

{إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [القلم:١٧-٣٣].

١٦- الملائكةُ لا يعلمون الغيبَ، ولو علموه ما اختَصموا في هذا الرجل، حتىٰ قيَّض اللهُ لهم ملكًا آخَرَ مأمورًا بأمره، وحكم بينهم، وقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلىٰ أيَّتِهما كان أدنىٰ فهو له.

١٧- أنَّ القاضيَ أو الحكمَ إذا تعارضت عنده أقوالُ الخصوم وتعذَّرتِ الشهاداتُ، وأمكنه الاستدلالُ بالقرائنِ علىٰ ترجيح بعض الدعاوىٰ؛ نفَذَ الحكمُ بذلك، كما حصل في هذه القصة، وقال الحكمُ: قيسوا ما بين الأرضين.

ومثلُ ذلك ما ورد في قصَّةِ نبي الله سليمانَ عليه السلام بعد أن حكم أبوه نبيُّ الله داودُ عليه السلام بالولدِ لإحدىٰ المرأتين، قال سليمان:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ائتوني بالسِّكِّين أشُقُّه بينهما، فصرخت الصغرىٰ وقالت: هو لها يا نبيَّ الله، فحكم به للصغرىٰ، لقرينةِ الشفقة علىٰ ولدها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ، فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَىٰ دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ**»[(١)].

١٨- أنَّ الذنبَ مهما عظُمَ فعفوُ الله أعظم، والجُرمَ مهما كبُرَ فرحمةُ الله أوسَعُ، فالظاهرُ من الحديث أنَّ الرجلَ كان أقرَبَ إلىٰ بلدِ المعصية، فلو ترك اللهُ الأرضَ علىٰ حالها لقبَضَتْه ملائكةُ العذاب؛ لكن غمرته الألطافُ الإلهية، وسبقت له العناية الربانيَّة،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقربت البعيدَ، وألانتِ الحديدَ، وطوىٰ الله الأرضَ، وقرَّبه لبلد التوبةِ، فكان من أهلِها برحمة الله الرحيم الرحمن.

١٩- مَن أَلْهَمَه اللهُ صدقَ التوبة، فقد سلَكَ به سبيلَ اللطفِ والقُربةِ.

٢٠- لو لم تُقبَلْ توبةُ القاتل لتحوَّلتِ الأرضُ إلىٰ غابةٍ، فهذا القاتلُ لمَّا أفتاه العابدُ بعدم قبول توبته آيَسَه من رحمةِ الله، فاستشرىٰ في المعصية والقتل، ولولا أنَّ اللهَ تداركه برحمتِه ورزقه بالعالِمِ الذي أفتاه بقبولِ توبته، لصارت المئةُ مئتينِ، فالحمدُ لله علىٰ جودِه وفضلِه بقبول توبة التائبين، وعفوه عن المذنبين.

٢١- وجوبُ الرجوعِ لأهل العلمِ في أمورِ الدِّين والدنيا، وحسنُ السؤال نصفُ العلم، وهذا واضحٌ من سؤالِ القاتل التائب: دُلُّوني علىٰ أعلم أهل الأرضِ. قال تعالىٰ: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾} [النحل:٤٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢- ليس كلُّ من ركب المنبرَ صار عالمًا، ولا من جلَسَ على كرسيِّ الدرس صار فقيهًا، فالكثير عُبَّادٌ وُعَّاظٌ، أما العالمُ الذي يُفتي فهو الفقيهُ الحافظ الوَرِع، فالعابدُ أفتى بغير علمٍ فأضرَّ، والعالمُ الفقيه أفتى بعلمٍ فنفع الله به.

٢٣- أحيانًا تكونُ الفتوى بغير علمٍ محبِطةً للعمل، كما ورد في حديثِ الرجل الذي قال لأخيه: واللهِ لا يغفِرُ اللهُ لك. فقال الله تعالى: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»(١).

٢٤- الذي يخالطُ الناس ويصبِرُ على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطُ الناسَ ولا يصبِرُ على أذاهم، فالعالمُ لما كان مخالطًا للناس عالمًا بمشكلاتهم وحِيَلهم، أفتى بعلمِه، وكان سببًا في نجاة نفسِه، ونجاةِ القاتل، وغيره من الناس، أمَّا العابدُ فكان عاكفًا في صَومَعتِه، منعزلًا عن الناس، فضلًا عن قلة علمِه وفقهه، فأجاب

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

بالخطأ، ولو كان عالمًا مخالطًا لدارئ القاتلَ لو لم تكُنْ له توبةٌ؛ لينجوَ من شرِّه.

٢٥- إذا سأل الإنسانُ مفتيًا ولم يقنَعْ بفتواه، ولم يطمئنَّ إليها، فلْيَسأَلْ غيرَه، حتىٰ يقتنعَ بالدليلِ، ويطمئنَّ قلبه، ويصلَ إلىٰ الحقِّ الذي لا مِرْيةَ فيه.

٢٦- ينبغي علىٰ المفتي أن تكونَ فتواه شاملةً للحكم والنصيحة المؤيدة لهذا الحكمِ، كما فعل العالمُ الذي أفتىٰ بقبولِ توبة القاتل، ونصحه وبيَّن له كيف يتوبُ ويستقيم علىٰ منهج الله سبحانه.

٢٧- لا نكفِّرُ مسلمًا بذنبٍ أبدًا ما لم يَستحِلَّه، ولا نشهَدُ لأحدٍ من أهل القِبلة بجنَّةٍ مهما كان صلاحُه، ولا بنارٍ مهما كان طلاحُه، إلا مَن شهد له الشرعُ بذلك، فهذا رجلٌ قتل مئةَ نفسٍ، ثم ختم اللهُ له بالتوبةِ الصادقة، فقبل توبتَه، وغفر له، فاللهُ أعلمُ بالخواتيم والمآلات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٨- فضلُ الهجرة في سبيلِ الله من بلد المعصية إلىٰ بلد الطاعة، قال تعالىٰ: {۞وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾} [النساء:١٠٠].

٢٩- التوبةُ تجُبُّ ما قبلَها، والهجرةُ تهدِمُ ما قبلها من الذنوبِ والمعاصي، فلمَّا تاب القاتلُ وهاجر إلىٰ بلدِ التوبة غفرَ اللهُ له.

٣٠- كلَّما ازداد المرءُ علمًا ازداد فِطنةً وبصيرةً في دين اللهِ، واتضح ذلك من قلَّةِ فِطنةِ الراهبِ وفتواه الخاطئة؛ لقلة علمِه، ولو كانت فطنته أكبرَ من ذلك ولم تكُنْ لهذا القاتلِ توبةٌ لاستعمل المعاريضَ؛ لينجوَ من شرِّه.

القصة الثامنة
قصة جريج العابد

أولًا: نص الحديث

عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ. فَصَلَّىٰ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَىٰ الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَىٰ جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَىٰ دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ.

قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا.

قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»[(١)].

ثانيًا: مشاهد القصة

قصة هذا الحديثِ الذي أخبرنا به النبيُّ ﷺ أنَّه كان هناك رجلٌ عابدٌ صالحٌ من عُبَّاد بني إسرائيل يعكُفُ في صومعةٍ؛ أي: حجرةٍ بعيدةٍ عن الناس؛ ليتفرَّغَ فيها للعبادة، فذهبت أمُّه لتزورَه،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

فأتته وهو يصلِّي، فنادت عليه فلم يردَّ عليها؛ لأنَّه كان في صلاةٍ، فانصرفت إلىٰ بيتِها، ثم جاءته في اليومِ الثاني وكان أيضًا يصلِّي، فنادت عليه، فأتمَّ صلاتَه ولم يردَّ عليها، ثم جاءته في اليومِ الثالث وهو أيضًا يصلِّي، فنادت عليه فلم يردَّ عليها، فغضِبتْ عليه ودعت عليه؛ لأنه لم يردَّ عليها في الأيام الثلاثة.

وقالت: اللهمَّ لا تُمِتْه حتىٰ تُرِيَه وجوهَ المومساتِ؛ أي: النساء البغايا الزانيات، فاستجاب اللهُ دعاءَها، وهيَّأ الأسبابَ لذلك، فكان هناك جماعةٌ من بني إسرائيلَ من أهل الفسقِ والفسادِ يحسُدُونَ جُرَيجًا علىٰ صلاحِه وعبادتِه، فأرادوا أن يُدبِّروا له مكيدةً حتىٰ يُفسِدوا عليه عبادتَه ودينَه، ويَفضَحوه في الناسِ، وكانَ من بينهم امرأةٌ فاجرةٌ زانية، فقالت: دعوني أنا أفتِنُه لكم، سوف أذهَبُ إليه وأعرِضُ نفسي عليه للزنا، وأُوقِعُه في حبائلِ الشيطان، وأجعله فاسقًا زانيًا، فذهَبتْ إليه لتعرضَ نفسها عليه، فلم يردَّ عليها، ولم ينظُرْ إليها، حتىٰ يئِسَتْ منه، فذهَبتْ إلىٰ راعٍ يرعىٰ الغنمَ، فدعَتْه للزنا، فاستجاب لها، وزنا بها، فحمَلتْ من هذا الزنا من أجلِ أن تنسُبَ الزنا وابنَ الزنا للعبدِ الصالح جُرَيجٍ؛

لكي تشهِّرَ به وتفضَحَه، فيؤدِّي ذلك إلىٰ قتلِه، فصبرت علىٰ ألم الحملِ تسعةَ أشهرٍ، ثم صبَرتْ علىٰ ألمِ الولادة حتىٰ ولَدتْ ولدًا، ثم قالت للناسِ: إنَّ هذا الولدَ ابنُ جُرَيجٍ العابدِ من الزنا.

فلمَّا سمع الناسُ هذا الكلامَ صدَّقوها، وأساؤوا الظنَّ بجُرَيجٍ، وذهَبوا إليه، فضرَبوه وهدَموا له صومعتَه، وأنزلوه علىٰ أميرِ القرية ليقتُلَه، وفي أثناء مسيرِه إلىٰ الأميرِ رأىٰ جمعًا من النساءِ المومسات البغايا، فتبسَّم وضحِكَ، وتذكَّر دعوةَ أُمِّه عليه بسبب أنَّه لم يردَّ عليها في الأيامِ الثلاثة السالفة، وعلم أنَّ الله استجاب دعاءَها فيه، ثم لمَّا وصل للأميرِ وأراد الأميرُ أن يقتُلَه بسبب التهمة التي اتُّهِمَ بها قال: دعوني أتوضَّأُ وأُصلِّي ركعتين أولًا، ثم بعد ذلك اقتلوني.

فتوضَّأ وصلَّىٰ ركعتين، ثم قال لهم: أين الصبيُّ المولودُ الذي تزعُمونَ أنَّه منِّي؟ فجاؤوا به، فطعَنَه بيده في بطنه، وقال له: يا غلامُ، مَن أبوك، ابنُ مَن أنت؟ فأنطَقَ اللهُ الغلامَ وقال: أنا ابنُ الراعي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكان ذلك كرامةً من الله لجُريجٍ؛ لأنَّه بريءٌ من هذه التهمة، فعلِمَ الناسُ براءتَه، فاعتذروا له، وتأسفوا وظلوا يُقبِّلونَه، ويتمسَّحونَ به- جهلًا منهم- للتبرك به، وهذا حرامٌ لا يجوزُ، وقالوا له: نبني لك صومعتَكَ من ذهبٍ ليُكرِموه ويُسامِحَهم، قال لهم: لا، أعيدوها من طينٍ كما كانت، ففعلوا، وردَّ الله إليه كرامتَه وهيبتَه.

ثالثًا: من فوائد هذه القصة العظيمة

١- عِظَمُ حقِّ الوالدين، وبِرُّهما؛ خاصةً الأمَّ؛ فالنبيُّ ﷺ سُئِل: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناسِ بصحابتي؟ قال: «**أُمُّكَ، ثمَّ أُمُّكَ، ثمَّ أُمُّكَ، ثمَّ أبوك**»[(١)].

وسُئِل ﷺ: أيُّ الناسِ أعظَمُ حقًّا علىٰ الرجُلِ؟ قال: «**أُمُّهُ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٢٤٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٣٦٦٣).

وقال ﷺ: «رِضَىٰ الرَّبِّ فِي رِضَىٰ الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»(١).

وقال اللهُ تعالىٰ: {۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾} [الإسراء:٢٣].

٢- تقديمُ بِرِّ الوالدينِ علىٰ صلاةِ التطوُّعِ، فمَن دعاه أحدُ والدَيْه وهو يصلِّي النافلةَ، يقطَعُ النافلةَ ويجيبُ وإن كان في فريضةٍ يخفِّفُ الصَّلاةَ حتىٰ يجيبَ، إلَّا إذا كانت هناك ضرورةٌ فيقطَعُ الصَّلاة، والأصلُ في ذلك أن يُسبِّحَ ليُعلِمَ أنَّه في صلاةٍ، كما ثبت عن النبي ﷺ(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩).

(٢) قال: «مَن رابَهُ شيءٌ في صلاتِهِ، فلْيُسبِّحْ؛ فإنَّه إذا سبَّحَ التُفِتَ إليه». أخرجه البخاري (٦٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- الوالدانِ يشتاقانِ دومًا إلىٰ رؤيةِ أولادهما الصالحينَ، والاستئناسِ بحديثِهم، فينبغي علىٰ الولدِ ألَّا ينشغلَ عنهما؛ بل عليه أن يُلبِّيَ رغبتَهما، ويُؤنِسَهما؛ طاعةً للهِ.

٤- لا توفيقَ للعبدِ إلَّا بتوفيق الله، ولا هدايةَ له إلَّا بهدايةِ الله، فحينما نادت أمُّ جُرَيجٍ عليه وهو يصلِّي حدَّث نفسه بقوله: يا ربِّ أُمِّي وصلاتي، وهكذا الإنسانُ في كلِّ أمرٍ من الأمور لا بدَّ له من الدعاء واللجوء إلىٰ اللهِ فيه، فالنبيُّ ﷺ مع كونه أعبدَ الناس وأعلمَ الناس كان يقولُ: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1]. أخرجه مسلم.

٤- بيانُ فضلِ الفقهِ في الدِّين، فجُرَيجٌ كان عابدًا، ولم يكُنْ فقيهًا، ولو كان فقيهًا للبَّىٰ نداءَ أُمِّه، ورد عليها بقوله: سبحانَ الله، أو يتحرَّك وهو في الصلاة ويفتَحُ لها الباب، ثم يعود إلىٰ موضعِ صلاته يكملها، أو يخرُجُ منها بالكليَّة ويفتحُ لها ويردُّ عليها

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

ويجبُرُ خاطرها؛ لأنَّ فقهَ الأولويَّات من أعظمِ أبوابِ العلم، فالأمورُ إذا تعارضت بُدِئ بأهمِّها، كما قال السعديُّ رحمه الله في المنظومة الفقهية:

فإنْ تَزاحَمَ عددُ المصالِحِ يُقدَّمُ الأعلىٰ مِنَ المصالِحِ
وضِدُّه تَزاحُمُ المَفاسِدِ يُرتَكَبُ الأدنىٰ مِنَ المَفاسِدِ

٥- النهيُ عن الدعاءِ علىٰ الأولاد؛ لأنَّ دعاءَ الوالدين للولدِ أو علىٰ الولد بحقٍّ مستجابٌ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَىٰ وَلَدِهِ**»(١).

فوالدةُ جُريجٍ دعَتْ عليه مع كونِهِ ولدًا صالحًا، فاستجاب اللهُ دعاءَها فيه، فما بالنا بالولدِ العاقِّ إذا دعا عليه والداه أو أحدُهما، وقد حصَلَ ما دعت عليه به حينما قالت: «**اللهمَّ لا تُمِتْه حتىٰ تُرِيَه وجوهَ المُومِساتِ**»، وقد تعرَّضتْ له إحداهنَّ، ومرَّ في أثناءِ طريقه

(١) أخرجه أحمد (٧٥١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الىٰ الأمير لقتلِه عليهنَّ، ولولا أنَّ الله سلَّم ما نجا، ولو دعت عليه أن يُفتَنَ بهنَّ لفُتِن.

٦- أنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ، فالتوفيقُ للنِّعم- خاصةً نعمةَ الطاعةِ والعملِ الصالح- من اللهِ وحدَه، ولكنَّ أكثرَ الناس يحسُدُونَ الناس علىٰ ما آتاهم اللهُ من فضلِه، فلمَّا وفَّقَ اللهُ جُرَيجًا للعبادة حسَدَه الحُسَّادُ، واستكثروا عليه هذه النعمةَ، ودبَّروا المكيدةَ لفتنته وإبعادِه عن طريقِ الله المستقيم.

قال تعالىٰ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ} [البقرة:١٠٩].

٧- حسنُ الخِلقةِ وجمالها قد يكونُ سببًا في جلب الشرِّ والفتنةِ للإنسان، فهذه المرأةُ البغيُّ الفاجرةُ كانت يُتمثَّلُ بحُسنِها في الجمالِ، حتىٰ إنَّها قالت: «**لأَفتِنَنَّه لكم**»، فكان حُسنُها وجمالُها سببًا لسَعْيِها في الفاحشةِ ولفتِ أنظار الزُّناة والعُصاة إليها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨- وجوبُ حَجْبِ المرأةِ عن أنظارِ الرجال الأجانب؛ درءًا للفتنِ والفسادِ، وحفاظًا علىٰ العِفَّةِ والفضيلةِ والحياء.

٩- أنَّ اللهَ يعصِمُ العبدَ من الفتن علىٰ قدرِ صلاحه وإخلاصه وتقواه، فقد عصَمَ جُريجًا من هذه البغيِّ ببركة صلاحه وإخلاصه.

١٠- أنَّ العبدَ لا يلتفتُ إلىٰ الفتنة بسمعِه ولا بصرِه، فلعلَّه إذا التفت ونظَرَ إليها أو سمِعَ منها وقَعَ فيها، فجُريجٌ لم يلتفِتْ إليها ابتداءً، ولعله لو نظَرَ لضعُفَ، ولوقع في المحظورِ، ولذلك أمرنا اللهُ ورسوله ﷺ بغضِّ البصر؛ لأنَّ غضَّ البصر يترتَّبُ عليه حفظُ الفرج، وإطلاقُ البصر قد يترتَّبُ عليه الوقوعُ في الرذيلة.

قال تعالىٰ: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾} [النور: ٣٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعظمُ فتنةٍ يُبتلَىٰ بها الرجُلُ هي فتنةُ المرأة، لقول النبي ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١)، وقال ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(٢).

ولذلك أمر اللهُ ورسولُه بغضِّ البصر والجوارح كلِّها عن المرأةِ الأجنبيَّة، ونَهَىٰ عن الخَلْوةِ بها، والاختلاطِ غير المنضبِطِ، وأعظمُ فتنةٍ يَتعرَّضُ لها الخلقُ هي فِتنةُ الدَّجَّال، ومن أعظمِ أسباب النجاةِ منها أنَّه إذا خرَجَ لا يُخرَجُ إليه، ولا يُلتفَتُ له، فلعلَّ المؤمنَ إذا خرَجَ إليه ونظَرَ إلىٰ أفعاله أن يُفتَنَ به، ويكونَ من أنصاره، قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ؛ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٣١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١- تعرَّف إلىٰ الله في الرَّخاءِ يَعرِفْك في الشدَّةِ، فجُرَيجٌ كان عبدًا صالحًا متقرِّبًا إلىٰ الله في صحَّتِه وقوَّتِه ورخائه، فلما أُصِيبَ بالمحنةِ، تكفَّل اللهُ به، وكفاه شرَّ الأشرار، وأيَّده بالكرامةِ العظيمة، وأنطَقَ له الغلامَ، وأنجاه من الكيدِ والفضيحةِ والقتل، وفضح عدُوَّه، وسلَّمه وغنَّمَه.

١٢- عِظَمُ كيدِ النساء؛ فهذه البغيُّ لمَّا تعرَّضت لجُريجٍ ولم يَلتفِتْ إليها بحفظِ الله له، صنَعتْ حيلةً ومكيدةً عظيمةً، حتىٰ تكيدَ له، وتُدنِّسَ شرَفَه وعِرضَه؛ فزنَتْ وحمَلتْ ووضَعَتْ، وافترَتِ الكذبَ ورَمَتْه بالبُهتانِ، وأنَّ الولدَ ولدُهُ من الزنا.

١٣- تبرئةُ الله لعبادِه المؤمنين البُرآءِ الصالحينَ ممَّا يتَّهِمُهُم به أهلُ الرَّيبِ والفسادِ، كما حصل هنا لجُرَيجٍ رحمه الله، وكما حصل لنبيِّ الله موسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: {لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩} [الأحزاب:٦٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكما حصل لأمِّ المؤمنين عائشةَ ﵂ حينما رماها أهلُ الإفكِ، واتَّهَموها بالزنا، فقال لها النبي ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ**»(١). وقد أنزَلَ اللهُ براءتَها في قرآنٍ يُتلَىٰ في المحاريبِ، ويُحفَظُ في الصدور في سورة النور إلىٰ قيامِ الساعة.

قال تعالىٰ: {وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾} [الأعراف:١٩٦].

١٤- ليس أحدٌ بعيدًا عن تُهمةِ أهلِ الباطلِ، فقد اتَّهموا جُرَيجًا بما ليس له وقالوا: «**زنَيتَ بهذه البَغِيِّ فولَدَتْ منكَ**»، وهكذا لم يسلَمِ الأنبياءُ والصالحونَ من مكائدِ أعدائِهم من أهلِ الشِّركِ والفساد، فقد رمَوُا الأنبياءَ بالجنونِ، والسَّفَهِ، والسِّحرِ، والشِّعرِ، والكهانة، والكذب، ونحو ذلك ممَّا هو مشهورٌ عنهم في القرآن والسُّنَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

١٥- الفزعُ إلىٰ الصَّلاة عندَ الشدائدِ؛ لكي تقوىٰ صلةُ العبدِ بربِّه، ويَدعُوَه، ويكونَ الدعاءُ أحرىٰ بالإجابة، قال تعالىٰ: {ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾} [البقرة:١٥٣]، وكان النبيُّ ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ فزِعَ إلىٰ الصَّلاة، أخرجه أبو داود بسندٍ حسنٍ(١).

١٦- أنَّ الله تعالىٰ يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه، ويكشفُ السوء، وينجي عبادَه الصالحين من الشدائد والمحن، قال تعالىٰ: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} [النمل:٦٢].

وقال: {۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ} [الحج:٣٨].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**»، أخرجه التِّرمذي(٢).

---

(١) سنن أبي داود (١٣١٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦- وجوبُ الدفاعِ عن النفس، فإنَّ جُريجًا لما اتَّهمُوه بالزنا لم يستسلِمْ للتهمة الباطلة؛ بل دافع عن نفسِه، وأتىٰ بالصبيِّ وطعنه في بطنه وقال: يا غلامُ، مَن أبوك؟ قال: فلانٌ الراعي.

وذلك كما فعل نبيُّ الله يوسُفُ عليه السلام حينما اتَّهمَتْه المرأةُ بأنَّه أراد بها السوءَ، فرد قائلًا: {هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي} [يوسف:٢٦].

١٧- إثباتُ كرامات الأولياء، فاللهُ جل وعلا نجَّىٰ جريجًا بكرامةٍ تَرُدُّ التهمةَ عنه، وتبرِّئُ ساحتَه عمَّا رُمِي به؛ حيث أنطَقَ الغلامَ الرضيعَ، وجعله يتكلَّمُ ويقولُ: أنا ابنُ الراعي.

١٨- الابتلاءُ سنةٌ ربَّانيَّة في الخلق، قال تعالىٰ: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣} [العنكبوت:٢-٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١).

وقال ﷺ: «أشَدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ، يُبتَلىٰ الرجُلُ علىٰ حسَبِ- وفي روايةٍ: قدرِ- دينِهِ، فإنْ كانَ دينُهُ صُلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإنْ كانَ في دينِهِ رِقَّةٌ ابتُلِيَ علىٰ حسَبِ دينِه، فما يبرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتىٰ يَترُكَهُ يَمْشِي علىٰ الأرضِ ما عليه خطيئةٌ»(٢)، فهذا جُريجٌ رجلٌ عابدٌ مسكين، ومع ذلك ابتُلِيَ بما قدَّره اللهُ عليه؛ رفعًا لدرجاتِه، وتكفيرًا لسيِّئاتِهِ، فما بالنا لو كانَ جريجٌ داعيًا من الدُّعاةِ، سيفًا مسلولًا علىٰ أهلِ البدعِ والكفران.

١٩- الصالحون يُبتَلَونَ، ويُوفِّقُهم اللهُ للصبرِ والثبات، ثم يفرِّجُ عنهم ويُنجِّيهم، ويبدِّلُ المِحنةَ إلىٰ مِنحةٍ عظيمةٍ، قال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٠٧٩).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾} [الزمر: ٦١].

٢٠- العوامُّ الجَهَلةُ يُفتَنونَ بصاحبِ الكرامةِ، ويتمسَّحون به، ويتبرَّكونَ به، كما فعلوا بجريجٍ، مع أن جريجًا رجلٌ فقيرٌ مسكين، لاحولَ له ولا قوَّةَ، واللهُ هو الذي أكرمه وبرَّأه ونجَّاه، وهذا التمسحُ والتبرك بالعبادِ الصالحينَ بدعةٌ قد تؤدِّي إلىٰ الشِّركِ بالله تعالىٰ.

٢١- زهدُ الصالحين في الدنيا وفيما عندَ الناس وعدمُ طمَعِهم وحرصهم علىٰ شيءٍ منها، فلمَّا أراد الناسُ أن يبنوا لجُريجٍ صَومعتَه من ذهبٍ قال: لا، أعيدوها من طينٍ كما كانت، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢- العفوُ عند المقدرة، فالناسُ تعجَّلوا في ظلم جُريجٍ، وصدَّقوا شائعةَ أهلِ الفساد والنفاق، وضربوه وأهانوه، وهدموا صومعتَه، ثم لمَّا نصره اللهُ ومكَّن له وبرَّأ ساحتَه، لم ينتقِمْ لنفسه، ولم يرضَ أن يبنوا له صومعتَه من ذهبٍ؛ بل عفا عنهم ورضِيَ بإعادتِها كما كانت فقط.

٢٣- العوامُّ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، سَرعانَ ما يُصدِّقون الباطلَ والزورَ علىٰ أهلِ الصلاح، وهذا خلافُ ما أمر اللهُ تعالىٰ به، فقد قال اللهُ سبحانَه: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦} [الحجرات:٦]، وقال: {لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٞ مُّبِينٞ ۝١٢} [النور:١٢].

فالواجبُ إحسانُ الظنِّ بالصالحين، وتكذيبُ ما يُلصَقُ بهم من التُّهَمِ التي تشين بسمعتهم؛ ردًّا علىٰ الحُسَّادِ الحُقَّادِ أهلِ الرَّيب والفساد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤- عدمُ جواز بناء أماكنِ العبادة من ذهبٍ أو فضةٍ؛ لما فيه من الإسرافِ واللهو عن العبادة، فجُريجٌ لما أراد الناسُ أن يبنوا صومعتَه من ذهبٍ رفض ذلك، ولذلك نهىٰ النبي ﷺ عمَّا يشغَلُ المصلِّيَ من الزخارفِ والثيابِ ونحوه.

٢٥- مَن أتلف شيئًا فعليه إصلاحُه، ومن أتلف مالًا محترمًا فعليه ضمانُه بالمثلِ، أو بالقيمة، فإنَّ جريجًا قال لهم بعد أن هدموا صومعتَه وأتلفوها: أعيدوها من طينٍ كما كانت. ففعلوا.

وكذلك لمَّا أهدَتْ إحدىٰ زوجات النبيِّ ﷺ طعامًا في قَصْعتِها للنبي ﷺ وأضيافِه، وغارت عائشةُ وضرَبَتِ القَصعةَ بيدها وألقَتْ ما فيها، فقال النبيُّ ﷺ: «**غارَتْ أُمُّكُم**»، وقال: «**طَعَامٌ بِطَعَامٍ، وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ**»، أخرجه التِّرمذي وصحَّحه[(١)].

٢٦- العزلةُ للعبادةِ والفرارُ من الفتن مستحبَّةٌ إذا كان في مخالطةِ الناس شرٌّ عظيمٌ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ**

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٥)، والترمذي (١٣٥٩). واللفظ للترمذي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَالِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»[(١)].

أمَّا إذا لم يكُنْ في الخُلطةِ هذا الشرُّ العظيم، فخُلْطةُ الناسِ أفضلُ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»[(٢)].

فانعزالُ جُرَيجٍ عن الناس يبدو أنَّه كان للفرار من الفتن؛ لأنَّ الذين ابتدعوا الرَّهْبنةَ هم من كانوا بعد المسيح هروبًا من تشريدِ اليهود والرومان لهم.

٢٧- النظرُ إلىٰ وجوهِ البغايا والفَسَقةِ عقوبةٌ من اللهِ للعبد، فما بالنا بمَن ينظُرُ إلىٰ الفروجِ والإباحيَّات؛ بل وما بالنا بمن يرتكبُ الفواحشَ!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢).

٢٨- الابتلاءُ خيرٌ للعبدِ في دنياه وأخراه إذا صبر وأحسَنَ، واتَّقىٰ اللهَ في حالِ الشدَّة والرَّخاء، فجُرَيجٌ كان بعدَ البلاء أفضَلَ حالًا عندَ الله وعند الناس.

٢٩- من أعظمِ مخطَّطات الأعداء استخدامُهم لسلاح المرأة والشهوة؛ لشغل الأمَّة، وتضييع شبابها، ونشر الرَّذيلة فيها، وقتل رُوحِ الغَيرة والتديُّنِ في نفوس المسلمين.

٣٠- مدىٰ انشغالِ الكفرة والفَجَرة وحِرصُهم علىٰ إفسادِ الشباب الصالح، وتضييعِ دينهم؛ حسدًا من عند أنفُسِهم، قال الله سبحانَه: {وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ} [النساء:٨٩]، وقال: {وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ} [آل عمران:٦٩]، وقال: {وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ} [البقرة:١٠٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالىٰ: {وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾} [النساء:٢٧].

وقال عثمانُ بنُ عفَّانَ والحسنُ البصري: ودَّت الزانيةُ أن لو زنت النساءُ كلُّهنَّ، ولهذا حرَصوا علىٰ إفسادِ جُريجٍ العابد، فاجتمع ملأٌ من بني إسرائيلَ يتكلَّمون في أمره، كيف نتركه صالحًا؟! لا بدَّ أن ندبِّرَ له خطةً لإفساده؛ ليصيرَ فاسدًا مثلَنا، وهذا الملأ يحضُرُه فَسَقةُ الرجالِ والنساء، فقالتِ البَغِيُّ الزانيةُ: أنا أفتِنُهُ لكم. ولولا حفظُ الله له ببَركةِ إخلاصِه وصدقِ إيمانه لفُتِن.

٣١- شؤمُ الحسدِ؛ إذ يحمِلُ الحاسدَ علىٰ كراهيةِ الخير للمحسود، وتمنِّي زوالِ النِّعمة عنه، والحرصِ علىٰ إفساده وإتلافه، وفضيحتِه، وإهدار كرامتِه، كما فعل الملأُ الظالمُ مع جريجٍ رحمه الله.

٣٢- عظمُ قدرِ الصَّلاة، واهتمامُ الصالحين بها، وأنها مشروعةٌ في الأمم قبلنا، وكذلك الوضوء، فقد فزع جُريجٌ إلىٰ الصَّلاة عند حلولِ البلاء بالبهتان العظيم، فكان الفرجُ، والنجاة، وحسن السمعة، والعاقبة، بفضل الله ربِّ العالمين.

٣٣- الرِّفقُ بالتابعِ إذا حصَلَ منه ما يُغضِبُ، فهذه أمُّ جريجٍ لمَّا غضِبتْ منه دعَتْ عليه أن ينظُرَ إلىٰ وجوهِ الزانياتِ، لا أن يُفتَنَ ويزنيَ.

٣٤- الثقةُ واليقينُ بالله، والتوكُّلُ عليه سبحانَه وحدَه لا شريك له، فجريجٌ حينما أخذوه ليقتُلُوه طلبَ الوضوءَ للصَّلاة، وهو واثقٌ أن اللهَ سينصره ويُبَرِّئه.

٣٤- إذا لم تستحِ فأصنَعْ ما شئتَ، فهذه البغيُّ عرَضَتْ نفسها بكل وقاحةٍ علىٰ جريجٍ، فلما أبىٰ ازدادت تبجُّحًا، فذهبت لراعٍ يرعىٰ الغنمَ فأمكنته من نفسها، فزنا بها، وحملت وولدت، وتبجَّحت أكثرَ وكذبتْ ونسبَتِ الولدَ للعبدِ الصالحِ جريجٍ.

القصة التاسعة
قصة القرض الحسن والخشبة والثقة بالله تعالى

أولًا: نص الحديث

عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَىٰ البَحْرِ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِذَلِكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَىٰ بِهَا فِي

البَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا[1].

ثانيًا: مشاهد القصة

قصَّة هذا الحديثِ أنَّ رجلًا كان محتاجًا إلىٰ مال ليقضيَ حاجةً مهمَّةً له، فسأل رجلًا آخَرَ أن يُقرِضَه ألفَ دينارٍ، فطلب منه صاحبُ المالِ أن يأتيَ بشهودٍ يشهدون علىٰ ذلك القرض، فلم

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩١).

يجِدْ شهداء، وقال: كفىٰ بالله شهيدًا؛ أي: يكفي أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ شاهدٌ علينا، فطلب أن يأتيَ بمَن يضمَنُه ويكون ضامنًا عنه وكفيلًا، فقال له المقترِضُ: كفىٰ بالله كفيلًا وضامنًا؛ لأنَّه لم يجد من يضمَنُه، فرضي المقرِضُ وأعطاه الألفَ دينارٍ إلىٰ أجلٍ معلومٍ.

فلمَّا جاء موعدُ السَّداد خرج الرجُلُ المقترض ليؤديَ المالَ لصاحبه، فلم يجِدْ سفينةً أو مركبًا يصلُ به إلىٰ المُقرِضِ؛ ليؤديَ له حقَّه، فأتىٰ بخشبةٍ فنقَرَها، ووضَعَ فيها الألف دينارٍ ورسالةً إلىٰ صاحب المال يُخبِرُه أنَّه خرَجَ في الموعدِ المعيَّن، فلم يجِدِ المركبَ الذي يوصله إليه، ودعا اللهَ تعالىٰ أن يوصِلَها لصاحبها، فاستجاب اللهُ دعاءَه، وأوصلها لصاحبها، وأدَّىٰ عنه، ووفَّىٰ له.

فخرج الدائنُ صاحبُ المال ينتظرُ صاحبَه، فلم يأتِ، فوجد الخشبةَ فأخذها الموجُ بأمرٍ من الله حتىٰ أوصَلَها لصاحبها،

فأخذها؛ لكي تكونَ حطبًا لأهله يُشعِلُون بها النارَ، فلمَّا نشَرَها وقام بتكسيرها وجد فيها الألفَ دينار والرسالة.

ثم بعد ذلك وجد المقترضُ مركبًا يوصِلُه إلىٰ البَرِّ الآخرِ، فأخذ ألفَ دينارٍ أخرىٰ، وذهب لصاحبِ المال، فلمَّا ذهب إليه قال له: إنَّ الله تعالىٰ قد أدَّىٰ عنك المالَ الذي بعثتَ في الخشبة.

ثالثًا: من فوائد هذه القصة

١- جوازُ التحديث عن بني إسرائيلَ فيما لا يخالف شرعَنا؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**حَدِّثوا عن بَني إسرائيلَ ولا حرَجَ**»[(١)]، ولذلك أخبَرَنا النبيُّ ﷺ عن بعضِ أخبارِهم الصادقة؛ لأخذ العِبْرةِ والعِظَةِ منها.

٢- بنو إسرائيلَ هم ذُرِّيَّةُ نبي الله يعقوبَ عليه السلام، فإسرائيلُ هو يعقوبُ، وبنو إسرائيلَ هم نَسْلُهُ من بعدِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

٣- جوازُ اقتراض المالِ للضرورة مع نيَّةِ الأداء، على أن يكونَ قرضًا حسنًا بدون فوائدَ ربوبيَّةٍ، فالأصلُ أنَّ الإنسانَ لا يستدينُ ولا يقترض إلا إذا كانت هناك حاجةٌ مُلِحَّة تدعوه إلى ذلك، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**لَا تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا**». قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدَّيْنُ**»(١)؛ لأنَّ الدَّينَ هَمٌّ بالليلِ، ومذلَّةٌ بالنهار، وكان النبيُّ ﷺ يستعيذُ بالله من الدَّينِ وهمِّه، وكان يترك صلاةَ الجنازة على صاحب الدَّينِ؛ تعظيمًا لأمره وتشديدًا.

٣- استحبابُ الإشهادِ على الدَّين؛ أي: اتخاذ شهودٍ يشهدون عليه لمصلحة حقِّ الدائن والمدين لهذا الحديث، ولقولِ الله تعالى: {وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ} [البقرة:٢٨٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- مشروعيَّةُ اتخاذِ الكفيل والضامن للدَّينِ؛ لهذا الحديث ولقول النبيِّ ﷺ: «**الزَّعِيمُ غَارِمٌ**»(١). والزَّعيمُ: الكَفيلُ.

٥- مشروعيَّةُ كتابة الدَّين إذا لم يوجد الشهود، ولا الكفيل، أو مع وجودهما يجوزُ كتابة الدَّين؛ لقول الله تعالىٰ: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ} [البقرة:٢٨٢].

٦- جوازُ إجراء الدَّينِ بدون كتابةٍ، ولا شهودٍ، ولا كفيل، والاكتفاء بكون الله تعالىٰ كفيلًا وشهيدًا.

٧- من أسماء الله تعالىٰ: «الكفيلُ» لهذا الحديث، والكفيل سبحانه هو القائمُ بأمور الخلائق، المتكفِّلُ الضامن لأرزاقِهم وأقواتِهم، وصلاح حالهم، قال تعالىٰ: {وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ} [النحل:٩١].

٨- من أسماء الله تعالىٰ: «الشهيد»؛ لهذا الحديث، ولقوله تعالىٰ: {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾} [النساء:٧٩]، وقوله: {وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾} [المجادلة:٦]، بعلمِه وسمعِه وبصره وإحاطته، الرقيب علىٰ كلِّ شيء، الشاهد لعباده وعلىٰ عباده بأعمالهم.

٩- لصاحب الدَّين (الدائن) أن يأخُذَ رهنًا أو كفيلًا أو شهودًا أو كتابةً، وله أن يرضىٰ ممَّن عليه الدين بشهادةِ الله وكفالته، إذا لم يجد شهداء، ولا كُفَلاء، ولا رهنًا، ولا كاتبًا.

١٠- علىٰ المسلمِ أن يأخُذَ بالأسباب، ويتوكَّلَ علىٰ الله تعالىٰ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»[(١)]، فالمقترِضُ لما لم يجد مركبًا يحمِلُه لصاحب الدَّين، أخذ خشبةً، ونقرها، ووضع فيها الدنانيرَ وسدَّها، وأحكم غلْقَها؛ كي لا يُغرِقَها الماءُ، ثم دعا الله عز وجل متوكلًا عليه أن يوصِلَها لصاحبها.

١١- مَن رضِيَ باللهِ شهيدًا وكفيلًا كفاه اللهُ، وحفِظَ له حقَّه، ومَن صحَّ توكُّلُه علىٰ الله تكفَّل اللهُ بنصرِه وحفظِه في نفسه وماله وولده وأهله، فالمقرض حينما رضي بالله شهيدًا وكفيلًا ردَّ اللهُ

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه ماله، والمقترِضُ حينما أَخَذَ بالأسباب، وكانت عندَه نيَّةُ السَّداد، قضىٰ اللهُ عنه، وحفِظَ الخشبةَ بما فيها، وأوصلها لصاحبِ المال.

١٢- علىٰ المسلم ألَّا يأخذَ بالأسباب الغَيبيَّةِ وحدَها؛ بل يأخذ بالأسباب الحِسيَّة، فالمقترِضُ لم يكتفِ بما أرسله في الخشبة؛ بل أتىٰ بالدنانير مرَّةً ثانيةً حينَ وجَدَ سفينةً تحمِلُه إلىٰ صاحِبِ الدَّين، فأخبرَه بأنَّ اللهَ أدَّىٰ عنه.

١٣- إذا أحسَنَ المسلمُ النيَّةَ في قضاءِ الدَّين أدَّىٰ اللهُ عنه، ورزقه ما يقضي به، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[(١)].

١٤- علىٰ المقترضِ أن يأخُذَ بالأسباب، ويبذُلَ ما في وُسْعِهِ لقضاء دَينِه في الموعد المحدَّد، ولا يُخلِفَ الوعدَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨٧).

١٥- وجوبُ أداء الحقوق والديون لأصحابها، فمن لم يؤدِّ في الدنيا فسوف يؤدِّي في الآخرة من حسناته؛ لقول النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رسُولَ اللهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(١)].

١٦- اللهُ جل وعلا عند ظنِّ العبد به، لقولِ الله تعالىٰ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وأحمد (١٦٠١٦). واللفظ لأحمد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلمَّا أحسن المدينُ ظنَّه بربِّه في أداء دينه، تكفَّلَ اللهُ بحفظِ المال، وأوصله إلىٰ صاحبه، وهيَّأ له أسبابَه.

١٧- فضل الإقراض للمدينين المحتاجين؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ**»، أخرجه أحمدُ عن بُرَيدةَ بنِ الحُصَيبِ(١).

١٨- ينبغي علىٰ صاحبِ المال الذي يقرضُ الناس أن يوثِّقَ دينَه بالكتابة، أو الشهود، أو الكفلاء، حتىٰ لا يستهينَ الناس بماله، ويأكلوه بالباطل.

١٩- إذا حل موعدُ الدَّينِ وجب الوفاءُ إذا كان المدين يجدُ ما يقضي به دينه؛ لقولِ النبي ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»(٢).

ولقولِه ﷺ: «**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ، وَعُقُوبَتَهُ**»(٣).

---

(١) مسند أحمد (٢٢٩٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٧)، وعلَّقَه البخاريُّ (٣/ ١١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن تعسَّر المَدين، أخبر الدائنَ، وطلب منه مدَّ الأجلِ، وعلىٰ الدائن أن يصبرَ؛ لقوله تعالىٰ: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾} [البقرة: ٢٨٠].

٢٠- بيانُ عظيم قدرة الله تعالىٰ، فهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ، وقد أحاط بكل شيءٍ قدرةً وعلمًا، فهو الذي بقدره وفَّقَ للدَّين وللأداء والوفاء.

٢١- فضلُ أداء الأمانةِ، فمن أدَّىٰ الأمانة ضمن له النبيُّ ﷺ الجنَّة؛ حيث قال: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**»، أخرجه أحمد(١).

٢٢- جوازُ التقاط لُقَطةِ البحر؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ ساق القصةَ مساقَ المدح، والرجل وجد الخشبةَ علىٰ الشاطئ، فالتقطها، وأخذها لأولاده حطبًا يُنتفَعُ بها، وقد أقرَّه النبيُّ ﷺ علىٰ ذلك.

---

(١) مسند أحمد (٢٢٧٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصة العاشرة
قصة المتصدق

أولًا: نص الحديث

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

معاني بعض الكلمات الغريبة:

١- الفلاةُ من الأرض: هي التي لا ماءَ فيها.

٢- الحَرَّةُ: الأرضُ التي تكسوها حجارةٌ سوداء.

٣- الشَّرْجَةُ: هي مسيلُ الماء.

٤- الحديقة: هي المزرعة والبستان.

٥- المِسْحاةُ: هي الفأسُ والمجرفة ونحو ذلك من الأدواتِ.

ثانيًا: مشاهد القصة

أنَّ رجلًا صالحًا مُزارِعًا يزرَعُ في أرضه، ويحرُثُ فيها، وكان يتصدَّقُ بثُلُثِ ما يخرج من أرضِه علىٰ الفقراء والمساكين وابنِ السبيل في الخفاء مخلصًا للهِ في ذلك، ويعمل صالحًا، فببركة صلاحِه وصدقاتِه وأدائه لزكاة ماله أكرَمَه اللهُ بكرامةٍ، وهي أنَّ اللهَ تعالىٰ يكفيه مؤونةَ سَقْيِ الأرضِ والزرع بأن يسخِّرَ اللهُ له السحابَ والملَكَ الذي يأمر السحابَ بإنزال المطر علىٰ أرضه خصوصًا دونَ أرضِ غيره، وذاتَ يومٍ إذا رجلٌ يمشي فيسمَعُ صوتًا من السماء يقولُ: اسْقِ أرضَ فلانٍ، لاسم الرجلِ صاحبِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأرض، فأتَتْ سحابةٌ وأمطَرتْ على هذه الأرضِ وحدَها، فتعجَّب هذا السامعُ، فسأل الرجلَ الذي يعمَلُ في هذه الأرض عن اسمه، فوجده صاحبَ الأرض وصاحبَ الاسم المنادَىٰ به في السماءِ، فأخبره بما سمع.

فقال له المزارعُ الصالحُ: ما دمتَ علِمتَ هذا، وأطلَعَك اللهُ عليه فسوف أُخبِرُك؛ لأنَّ هذا سرٌّ بيني وبين الله؛ ليكونَ عملي صالحًا خالصًا مقبولًا عندَ الله، فأخبَرَه بأنَّه حينما يحصُدُ ثمرَ أرضِهِ يقسِمُه ثلاثةَ أثلاثٍ: الثلثُ الأوَّل للهِ، يتصدَّقُ به على الفقراءِ والمساكين والسائلينِ وابن السبيل، والثلثُ الثاني: يدَّخِرُه قوتًا لعياله، والثالثُ يدَّخِرُه ليزرعَه في الأرضِ عندَ أوان هذا النوعِ من الزرع.

فاللهُ أكرمه، وبارك الله في صحَّتِه، وعمره، وماله، وولده، ببركة إخراجه لزكاة ماله وتصدُّقِه على المحتاجينَ وإخلاصه لله في السرِّ والعلن.

ثالثًا: من فوائد هذه القصة

١- فضيلةُ إخراجِ الزكاة والصدقات، فإنَّها تزكِّي القلوبَ، وتُطهِّرُ النفوس، وتزيد في الأموال والأعمار، فالزكاةُ معناها الزيادة والنَّماء، قال اللهُ تعالىٰ: {خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [التوبة:١٠٣]، وقال سبحانه: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾} [سبأ:٣٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «أَنْفِقْ يُنْفَقْ عَلَيْكَ»(١).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٢).

٢- إثباتُ كراماتِ الأولياء، فهذا العبدُ الصالح الذي يزرعُ ويُطعِمُ الناسَ، ويتصدَّقُ من ماله، أكرمه الله بكرامةٍ؛ وهي أنَّ اللهَ سبحانه يَكفيه مؤونةَ سَقْيِ زرعِه، فيُنزِّلُ له ماءً من السماء طهورًا

---

(١) انظر: التعليقات الحسان (٢/ ١٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

مباركًا علىٰ أرضِه خاصةً دونَ أراضي الناس ببَركةِ طاعتِه، وتقواه، وإخلاصه لله سبحانه.

٣- فضيلةُ الزِّراعة، فالزِّراعةُ- إذا اتَّقىٰ المزارعُ فيها ربَّه- من خيرِ الكسبِ، ومن خيرِ العمل؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»(١).

٤- كلَّما كان العبدُ طائعًا لربِّه طوَّع اللهُ له خلقَه، وسخَّرهم له، ورزقه من حيث لا يحتسبُ، فهذا العبدُ الصالح سخَّر اللهُ له السحابَ والمطرَ والملائكةَ التي تنادي السحاب وتحرِّكه، وتقول له: اسْقِ حديقةَ فلان.

٥ - فضيلةُ شكر النعم، وشكر النعم هو أداءُ حقِّ الله فيها، واستعمالها في طاعة الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:٧].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- احفَظِ اللهَ يحفَظْك، فهذا الرجلُ لمَّا حفظ اللهَ في نفسه وماله وأطاع ربَّه، واجتنب محارمَه، تكفَّل اللهُ بحفظه وكرامته.

٧- أنَّ من الأدبِ أن نناديَ علىٰ مَن لم نعرِفِ اسمَه ونقول له: يا عبد الله؛ لأنَّ الجميع عبيدٌ الله، فإن كان مسلمًا فهي عبوديَّةُ اختيارٍ، وإن كان كافرًا فهي عبوديَّةُ قهرٍ، {إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾} [مريم:٩٣].

٨- قد يُنزِلُ اللهُ المطرَ علىٰ بلدٍ دون بلد، أو ناحيةٍ دون ناحية، وقد يحفظ اللهُ بعض خلقه لهذا السبب، وهو الصدقاتُ، فقد يحترق السوق بالكامل إلا محلات معينة تؤدي الزكوات، وتتقي اللهَ في تجاراتها.

٩- الإنفاقُ وسيلةٌ لنماءِ المالِ وحلول البَرَكة فيه، كحال مَن يبذُرُ الحبَّةَ في الأرض، سَرعان ما تنمو وتكبر حتىٰ تصبحَ شجرةً باسقةً يانعةً مثمرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- بيانُ عظيمِ قدرة الله في حَرَّةٍ من الأرض لا ماءَ فيها لسَقْيِ الزُّروع وهي ذاتُ حجارةٍ سودٍ صخرية؛ ولكنَّ اللهَ بقدرته ينزِّلُ عليها الماءَ، ويُنبتُ فيها الزرعَ والثمر.

١١- فضيلةُ الكسبِ من عمل اليد؛ لقول النبي ﷺ: «**ما أكَلَ أحَدٌ طعامًا قطُّ خَيرًا مِن أن يأكُلَ مِن عمَلِ يدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ عليه السَّلامُ، كانَ يأكُلُ مِن عمَلِ يدِهِ**»(١).

١١- فضيلةُ الإنفاقِ علىٰ العِيال، قال النبيُّ ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»(٢)؛ أي: يعولُ، وقال ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٢).
(٢) أخرجه أبو داود (١٦٩٢).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصة الحادية عشرة
قصة الكنز الذهب

أولًا: نص الحديث

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَىٰ العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَىٰ العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»[1].

ثانيًا: مشاهد القصة

أنَّ رجلًا باع أرضَه لرجلٍ آخَر، وكلا الرجلينِ من أهلِ الأمانة والدِّين، فلمَّا قام المشتري بالحفر في أرضه لبنائها أو حفر بئرٍ فيها ونحو ذلك وجَدَ فيها كَنزًا من ذهبٍ، فرجع للبائع وقال له: خُذْ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١).

هذا الذهبَ، فهو مِلكُك أنت؛ لأنَّني اشتريتُ الأرضَ، ولم أشترِ منك هذا الذهبَ. فقال البائع: لا بل الذَّهَبُ ذهبُك، وهو مِلكٌ لك أنت؛ لأنَّني بعتُ لك الأرضَ بما فيها، وكلاهما يتعفَّفُ، ويريدُ أن يعطيَ لصاحبه الذهبَ، فاحتكما إلىٰ رجلٍ صالحٍ، فسألهما سؤالًا موفَّقًا من الله، هل لكما من أولاد؟ فقال أحدهما: عندي غلامٌ ولدٌ، وقال الآخَرُ: عندىٰ ابنةٌ.

فقال الحكمُ: زَوِّجوا الغلامَ للجارية، وأنفقوا علىٰ أنفُسِكم، وعلىٰ الزوجين من هذا الكَنز، وتصدَّقَا منه علىٰ الفقراءِ والمساكين والمحتاجين، وكان حكمًا عجيبًا جميلًا.

ثالثًا: من فوائد هذه القصة

١- أنَّ البيعَ المبنيَّ علىٰ الصدقِ والأمانة بيعٌ كلُّه بركةٌ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- لزومُ المؤمن الورع؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**وخَيرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ**»[١]، وهذا واضحٌ من ورَعِ كلا الطرفين، فكلٌّ منهما يتورَّعُ عن أخذ الذهبِ؛ خشيةَ أن يكونَ من حقِّ الطرف الآخر.

٣- وجوبُ اتِّقاء الشُّبُهات؛ لقول النبيِّ: «**فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**»[٢]، فكلا الرَّجُلينِ لمَّا اشتبه عليهما حكمُ أخذ هذا الذهَبِ اتَّقَىٰ كلٌّ منهما أخذَه؛ حتىٰ لا يقَعَ في الحرام.

٤- أنَّ القناعةَ والزهدَ لا يعودانِ علىٰ الإنسان إلَّا بالخير والبركة، فلمَّا كان كلا المتعاقدين من أهلِ القناعة وعدم الطمع، زوَّج اللهُ ولدَيْهما بمعونةٍ من عنده من غير أن يتكلَّفَا، ورزَقَهم من حيثُ لم يَحتسِبوا.

٥- مشروعيَّةُ التحكيمِ والتحاكم إلىٰ أهلِ العلمِ والصلاح ممَّن هم أهلٌ للتحكيم بين الناس، وأنَّ حكمَهم نافذٌ إذا وافق الحقَّ والعدل.

---

(١) انظر: صحيح الجامع الصحيح (١/ ٦٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- وجوبُ التحاكُمِ إلىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ بفهمِ السلفِ الصالحِ، والرجوعِ لأهلِ العلمِ في المسائلِ المشكلةِ غيرِ الواضحةِ، قال اللهُ تعالىٰ: {فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩} [النساء:٥٩]، وقال تعالىٰ: {فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣} [النحل:٤٣].

٧- ليس الغِنَىٰ عن كثرةِ العَرَضِ، وإنَّما الغِنَىٰ غِنَىٰ النفسِ، فكلاهما كان غنيَّ النفس بزهده في الدنيا، وزهده فيما في أيدي الناس، فأثنىٰ اللهُ ورسولُه عليهما.

٨- مَن يستعفِفْ يُعِفَّه اللهُ، ومن يستغنِ يُغْنِهِ اللهُ، فكلاهما استعفَّ عن الذهب، فخلف اللهُ عليهما بالخير، بالمال.

٩- الرِّزق محتومٌ مقسومٌ، ولا حيلةَ فيه، قال النبيُّ ﷺ: «**لو أنَّ ابنَ آدَمَ هرَبَ مِن رِزقِهِ كما يهرُبُ مِنَ الموتِ لأدرَكَه رِزقُهُ كما يُدرِكُهُ المَوتُ**»[(١)].

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٥).

١٠- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، فكلاهما اتَّقىٰ اللهَ في بيعه وشرائه، ولزم الورَعَ في الكَنز، فجعل اللهُ لهما رزقًا واسعًا، وعملًا متقبلًا، وزواجًا صالحًا.

١١- وجوبُ القناعةِ بالحلالِ، وتركُ الحرام والمشبوه، ووجوبُ الورَعِ عن الحرام والمشبوه، والأخذ بالأسباب المشروعة للرِّزق.

١٢- الحكمُ العادلُ يُرضي الطرفين.

١٣- المؤمنُ العاقلُ هو الذي يتجنَّبُ الحرامَ وما فيه شُبهةٌ، وهو المستحقُّ للمدحِ وحُسنِ الجزاء والثناء في الدنيا والآخرة.

١٤- أنَّ مَن وجد في أرضه أو داره كَنزًا فإنَّما هو رزقٌ ساقه اللهُ إليه من حيث لا يحتسبُ، فيتصدَّق بخُمُسِه لله تعالىٰ في مصارفِ الزكاة، ولذلك أمر المحكَّمُ بالتصدُّقِ منه، ولقول النبي ﷺ: «وفِي الرِّكازِ الخُمُسُ»(١)، والرِّكازُ: هي الكنوزُ التي في باطنِ الأرض، أو هي مدفونُ الجاهليَّة، وهذا إذا لم يكُنْ تماثيلَ

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجسَّمة، فإن كان تماثيلَ مجسَّمة فيحرُمُ بَيعُها؛ لنهيِ النبيِّ ﷺ عن بيعِ التماثيلِ والصُّوَر؛ بل الواجبُ طمسُ التماثيل والصُّوَر؛ لحديثِ عليِّ بن أبي طالبٍ لأبي الهَيَّاجِ الأسديِّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «**أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»(١).

١٥- فضيلةُ الإصلاح بينَ المتنازعين، ومشروعيَّةُ الحكمِ بالصلح بينهما، والتحكيم بالصلح.

١٦- فضلُ التزويج، والتيسير في المهور، مع مراعاة الكفاءة بين الزوجين.

١٧- فضلُ حِكمةِ القاضي والمحكَّمِ في الحكم والصلح.

١٨- فضلُ الأمانة وبَرَكتُها على الناس.

١٩- لا يحِلُّ مالُ امرئٍ إلا بطيبِ نفسِه.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّمْ وبارِكْ على نبيِّنا محمدٍ

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

فهرس موضوعات الكتاب

مقدمة.....٣
القصة الأولىٰ: قصة بدء الوحي علىٰ رسول الله ﷺ ٦
القصة الثانية: المسلم كالنخلة المثمرة.....١٩
القصة الثالثة: فضل العلم وخبر الثلاثة.....٢٤
القصة الرابعة: قصة أصحاب الأخدود.....٢٨
القصة الخامسة: قصة عَطِيَّةِ النُّعمان بن بشير.....٧٦
القصة السادسة: قصة السبعين ألفًا.....٩٠
القصة السابعة: قصة القاتل تسعةً وتسعين نفسًا.....١٠٨
القصة الثامنة: قصة جريج العابد.....١٢٧
القصة التاسعة: قصة القرض الحسن والخشبة والثقة بالله....١٥١
القصة العاشرة: قصة المتصدق.....١٦٢
القصة الحادية عشرة: قصة الكنز الذهب.....١٦٩